الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي – تبسة –

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

البلاغة التّعليميّة في التّراث العربي: قراءة في منظومة "عقود الجُمان في علمي المعاني والبيان" للسّيوطي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللّسانيات العربيّة

إعداد الطالبتين:
- ليليا عوايطية
- مريم بن عرفة

إشراف الأستاذ الدكتور:
رزيق بوزغاية

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
رشيد سهلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي التبسي	رئيســـا
رزيق بوزغاية	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي التبسي	مشرفا ومقررا
الطيب العزالي قواوة	أستاذ محاضر ب	جامعة العربي التبسي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2022/2021

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي – تبسة –

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

البلاغة التّعليميّة في التّراث العربي: قراءة في منظومة "عقود الجُمان في علمي المعاني والبيان" للسّيوطي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللّسانيات العربيّة

إعداد الطالبتين :
- ليليا عوايطية
- مريم بن عرفة

إشراف الأستاذ الدكتور:
رزيق بوزغاية

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
رشيد سهلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي التبسي	رئيســا
رزيق بوزغاية	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي التبسي	مشرفا ومقررا
الطيب العزالي قواوة	أستاذ محاضر ب	جامعة العربي التبسي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنّ اللّغة العربيّة أداة القول الجميل ووسيلة التّعبير عن تذوّقه، فعن طريقها استطاع الأدب أن يُخلّد روائع الآثار الجميلة، وأن يكشف أسرار الجمال فيها.

وحتما فإنّ الحديث عن اللّغة العربيّة يقودنا للحديث عن لغة تسمو بمظاهر الإبداع وبراعة الأسلوب، فهي تتمتّع بسمات متعدّدة منها غنى مفرداتها، وروعة تشابيهها، ودقّة تعبيرها، وما جعلها مميّزة عن اللّغات الأخرى ثراؤها بالمفردات، ونجد تجسيد هذه اللّغة في بلاغتنا العربيّة التي تعني إيصال معنى الخطاب كاملا إلى المتلقي سواء كان سامعا أو قارئا بلغة فصيحة صحيحة، فالهدف الأسمى من البلاغة بيان نواحي الجمال الفنّي، لذلك فهي ضرورة للناشئة في المراحل الدّراسية المختلفة، بغرض ضبط اللّغة عند المتعلّمين، ونظرا لأهميّتها فالتّعليميّة تولي اهتماما بالغا لتطوير تدريسها، والتّفكير في حلّ مشكلاتها، ومن هذا المنطلق ارتأينا أن تكون دراستنا بعنوان **(البلاغة التّعليميّة في التّراث العربي: قراءة في منظومة عقود الجمان في علم البلاغة والبيان)**.

وبخصوص مبررات اختيارنا لهذا الموضوع للدّراسة فقد جاءت عبر النّظر في أهمّية ومكانة البلاغة العربيّة في العمليّة التّعليميّة، وأثرها الإيجابي في تنمية اللّغة ودارسيها، وحبّ الاطّلاع والبحث في البلاغة وفروعها.

أمّا إشكالية البحث فقد تمحورت حول قضيّة جوهرية مفادها الإجابة عن الأسئلة التّالية: ماهي الخصائص التّعليميّة التي تتضمّنها منظومة عقود الجمان في علمي المعاني والبيان للسّيوطي؟ وكيف تتجلّى عناصر العمليّة التّعليميّة في هذه المنظومة؟ وكيف أسهمت خصائصها الموضوعيّة والفنّية في تأدية دورها التّعليمي بين الطّلاب والمتعلّمين؟

وقد فرض علينا موضوع المذكرة في البحث أن تكون مقاربة مزدوجة؛ تتضمّن المقاربة التّأصيليّة للعناصر التّعليميّة في المنظومة المُختارة، ومقاربة فنّية الغرض منها تبيان بعض الجوانب الجمالية في المدوّنة والتي أسهمت في دورها التّعليمي.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من الدّراسات السّابقة في الجانب النّظري نذكر منها: خصائص المعلّم النّاجح (مذكّرة لنيل شهادة الدّكتوراه في الأدب العربي) لبلخير مليكة، فقد أخذنا منها خصائص المعلّم الفعّال، كما اعتمدنا في هذه الدّراسة على مذكرة لنيل شهادة

الدكتوراه في تعليميّة المنظومات النّحويّة في التّراث من القرن 12هـ إلى القرن 15هـ فأخذنا منها مفهوم التّعليميّة في التّراث. أمّا الجانب التّطبيقي فكانت الدّراسات فيه منعدمة. ومن هذا المنطلق فإنّنا نتقدّم بكل الشّكر إلى أُستاذنا المشرف الدّكتور "رزيق بوزغاية" على مساعدتنا في تخطّي كل هذه الصّعوبات، وعلى ما قدّمه إلينا من نصائح، وعطائه الدّائم الذي كان لنا سندا في شقّ طرينا أثناء هذا البحث.

وقد تمّ تصميم البحث على نحو يتضمّن مدخلا وثلاث فصول وخاتمة جمعت نتائج البحث المتوصّل إليها.

أمّا في المدخل فتناولنا قراءة لغوية واصطلاحيّة في مفردات عنوان المذكّرة، كتعريف علم البلاغة والتّعليميّة والتّراث.

وأمّا الفصل الأوّل فجاء موسوما بـ: المثلّث التّعليميّ وقد تطرّقنا فيه إلى مفهوم كل من المعلّم والمؤلّف والعلاقة الموجودة بينهما، وقد خصّصنا المبحث الأوّل بذكر مفهوم البلاغة عند السيوطي في منظومته، أمّا المبحث الثّاني ورد فيه أقسام البلاغة وعلاقة البلاغة بالعلوم الأخرى. وأمّا المبحث الثّالث تناولنا فيه المتعلّم والقارئ.

وتكلّمنا في الفصل الثّاني عن مقوّمات النقل الديداكتيكي، فجاء في المبحث الأوّل مفهوم التّعريف، والمبحث الثّاني خصّصناه لمفهوم التّمثيل، أمّا المبحث الثّالث تناولنا فيه أسلوب الخطاب. مع التّطبيق لهذه المباحث الثّلاثة في المنظومة.

في حين تطرّقنا في الفصل الثّالث من البحث إلى الخصائص الفنّية وتيسير التّعليم، فدرسنا في المبحث الأوّل الخصائص الشّعريّة الموجودة في المنظومة التي تمثّلت في الإيقاع، الوزن، القافية، والرّوي، أمّا المبحث الثّاني تناولنا فيه الخصائص البلاغيّة والتّمثيل لها من المنظومة.

وأنهينا بحثنا بخاتمة رصدنا فيها ما توصّلنا إليه من نتائج وخلاصات.

ومن الطّبيعي أن يعترض كلّ بحث علمي جملة من الصّعوبات، وقد تجسّدت هذه الصعوبات في مسيرتنا مع هذا الموضوع في قلة المراجع، وضيق الوقت الذي لم يكن في صالحنا لإتمام الدّراسة بشكل دقيق، وكذلك وجدنا صعوبة في تحليل الأبيات.

وأخيرا نعترف بعدم استفائنا للموضوع من كلّ جوانبه، بل حاولنا أن نبرّر ولو جزءا بسيطا ممّا جاء في منظومة السّيوطي، كون هذا الموضوع يحتاج إلى دراسات معمّقة، وفي النّهاية قد بذلنا ما في وسعنا من جهد ويبقى الكمال لله وحده.

مدخل:

مفاهيم أساسية في التعليمية والبلاغة والتراث

يحتاج البحث العلمي لتحديد المصطلحات وضبطها، وسنسعى في هذا المدخل للتّعريف بالمفاهيم الأساسيّة في دراستنا، وهي التّعليميّة والبلاغة، والتّراث، لنحّد معانيها وارتباطها فيما بينها، ثمّ نوظّفها في دراسة منظومة عقود الجُمان التي ألّفها جلال الدّين السّيوطي.

أوّلا: التّعليميّة

تعد التعليميّة علما من العلوم حديثة النّشأة، تسعى لتطوير المعارف العلميّة في جميع أنواع العلوم وكافّة مراحل التّعليم، حيث تبحث عن العلاقات بين المعلّم والمتعلّم معتمدة على مجموعة من الطّرق والوسائل المساعدة في عمليّة التّعليم، كما تعمل على تلبية الاحتياجات التّعليميّة وفق أهداف وشروط التّعليم.

1. لغة

جاء في لسان العرب مادة (عَ لِ مَ) بأنّها: «علم من صفات الله عزّ وجل العليم والعالم والعلاّم، قال عزّ وجل:﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيم﴾ [الحجر: 86]، وقال أيضا: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾"[الأنعام: 73]، وقال أيضا: ﴿عَلامُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة: 78]، وعَلِمت الشيء أعلمُه عِلمه أي عرفته. وعلّمه العلم وألمسه إيّاه فتعلَّمه. يقال تعلّم في موضع اعلم، وفي حديث الدّجال: «تعلّموا أن ربّكم ليس بأعور» أي اعلموا...»[1].

وقال الجوهري في دلالة (عَلِمَ): «عَلِمَ الرّجل يعلم علما، إذا صار أعلم، وهو المشقوق الشفة العليا، والمرأة علماء، وعلمت الشيء أعلمه علما: عرفته، وعَالمت الرّجل فعلَمته أعلُمه بالضم: غلبته بالعلم، وعلمت شفته أعلِمه علما، مثال كسرته أكسره كسرا إذا شققتها ورجل علاّمة، أي: عالمٌ جدًا»[2].

فمن خلال هذه التعريفات نرى أن مادة (عَلِمَ) من العلم، وتعني المعرفة والتعلّم والتّعليم.

[1] محمد ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، 12/484-485.
[2] الجوهري، الصّحاح، دار الحديث، القاهرة، مصر، د.ط، 2009، 1/807-808.

2. التّعليمية اصطلاحا

تعرف التعليمية بأنها: «الدّراسة العلميّة لطرائق التّدريس وتقنياته وتعد علما قائما بذاته تنْصبّ اهتمامه على الإحاطة بالتّعليم، ودراسته دراسة علميّة وتقديم الأبحاث العلميّة عنه، وذلك من خلال البحث في محتوياته، وطرائقه ونظريّاته، وهي ترجمة لكلمة "ديداكتيك" (Didactique)»[1].

كما ورد في التّعليمية أنّها: «الدراسة العلميّة لطرق التدريس وتقنياته، ولأشكال تنظيم مواقف التّعلم التي يخضع لها التّلميذ قصد بلوغ الأهداف المنشودة سواء على المستوى العقلي أو المستوى الوجداني أو على الحس الحركي»[2].

وعليه يمكن القول أنّ التعليميّة اشتُقت من كلمة "ديداكتيك" الإغريقية التي تدل على التعلّم، أي أتعلم منك وتتعلم مني، وهي الدّراسة العلميّة لطرائق ووسائل وتقنيات التّعليم، وهذا ما جمعت عليه كل التّعريفات السابقة الذكر.

ثانيا: البلاغة

1. البلاغة لغة

تعددت تعريفات البلاغة، واختلفت من عصر لآخر، ومن باحث لآخر، وفيما يلي تعريفات البلاغة في المعاجم العربية القديمة والحديثة.

جاء في لسان العرب لابن منظور، (بَ لَ غَ): «بَلَغَ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل انتهى، وأبلغه هو ابلاغا وبلّغه تبليغا وبلاغا. والبلغُ والبِلْغ: البليغ من الرجال ورجل بليغ و بَلْغ وبِلْغ: حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما فيه قلبه، والجمع بُلغاء، وبلُغ بلاغة، أي صار بليغا»[3].

---

[1] لحبيب عبلله، تعليمية المنظومات النحوية في تراث من القرن 12 هجري حتى القرن 15، بحث مقدّم لنيل الدكتوراه علوم في اللغة والأدب اللغوي، 2018، جامعة درابة، أدرار، الجزائر، ص27.

[2] محمد الدريج، تحليل العملية التعليمية، (مدخل إلى علم التدريس)، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، ط1، 2000، ص13.

[3] ابن منظور، لسان العرب، 420/8.

ويذهب محمد الرّازي في التّعريف اللّغوي للبلاغة: «بَلَغَ المكان وصل إليه وكذا إذا شارف عليه ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾[البقرة: 234]، أي قاربنه، وبَلَغَ الغلام أدرك

وبابهما دخل، والإبلاغ والتّبليغ الإيصال والاسم منه (البلاغ)، والبلاغ أيضا الكفاية والبلاغة الفصاحة، وبَلَغَ الرّجل صار بليغا وبابه ظرف»[1]، فالبلاغة هي الإيصال وكذلك التّبليغ.

ورأى جبران مسعود البلاغة: «بَلَغَ يبلغ بلوغا، الشيء والمكان: وصل إليه، بَلَغَ يبلغ: بلاغة، فصح لسانه وحسن بيانه، بلغ تبليغا: أوصله، الشيب في الرأس، ظهر، الفارس مدّ يده بعنان فرسه ليزيد في سرعته، البَلْغُ: الفصيح، البليغ المتناهي في الشيء »[2] . فالبلاغة من جانبها اللّغوي مشتقة من مادة (بَ لَ غَ)، وتعني البلوغ والوصول إلى الشيء والانتهاء إليه.

2. البلاغة اصطلاحا

لقد تناول الكثير من البلاغيين مفهوم البلاغة من جانبها الاصطلاحي واختلف هذا المفهوم من بلاغي لآخر. فقد جاء في تفسير ابن المقفع أن: «البلاغة اسم يجري في وجوه كثيرة. فمنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا فعامّة ما تكون من هذه الأبواب، فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ، والإيجاز هو البلاغة»[2]. أي أن للبلاغة وجوها كثيرة تتجلى فيها لما تحتوي هذه الوجوه من وحي وإشارة وبالتالي الإيجاز.

في حين ذهب أبو هلال العسكري حيث قال: «البلاغة هي كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن»[3]. فالصورة المقبولة والمعرض الحسن جعلهما أبو هلال العسكري شرطان في البلاغة.

---

[1] محمد الرازي، مختار الصّحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د.ط، بيروت، لبنان، 2017، ص26.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1998، 1/115-116.

[3] أبو هلال العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، د.ط، 1952، ص10.

والبلاغة كما يقول أمين خولي: «هي البحث عن فنّية القول وإذا ما كان الفنّ هو التّعبير عن الإحساس بالجمال [....]، فالبلاغة هي البحث في كيف يعبر القول عن هذا الإحساس»[1].

وبالتّالي نجد أنّ للبلاغة معنيين، أوّلها تعتمد على الدّقة وحسن اختيار المعنى بشكل واضح من خلال عبارات صحيحة فصيحة، أمّا ثانيها فهو العلم الذي تتبيّن به. وينقسم هذا العلم في عرف الباحثين إلى ثلاثة أقسام البيان البديع والمعاني وهو الذي يقوم عليه مدار هذا البحث.

ثالثا: التراث

يعكس التّراث خصائص الأمم وطبيعتها، فلكلّ أمّة تراث خاص بها يميّزها عن غيرها من الأمم والحضارات، وهو مدوّنة تاريخيّة تحمل في طيّاتها العديد من الظّواهر والأحداث التي تؤكّد على أصالة الأمم ووجودها.

1. التراث لغة

عرّف ابن منظور التراث على أنّه: «الورث والإرث والوارث والتّراث واحد [...] والتراث والميراث: ما ورث وقيل الورث والميراث في المال، والإرث في الحسب[...]، والتّراث ما يخلّفه الرّجل لورثته»[2].

والإرث في اللّغة: «ما يخلّفه الرّجل لورثته: أورث المطر للنّبات: نعمه، أورثته الشيء: أعقبته إيّاه»[3].

والتّراث أيضا: «من مادة (وَ رَ ثَ)، وتجعله المعاجم القديمة مرادفا ل"الإرث" و" الورث" و"الميراث" وهي مصادر تدل، عندما تطلق اسما، على ما يرثه الإنسان من والديه من مال أو حسب. وقد عرّف بعض اللغويين القدامى بين "الورث" و"الميراث "على أساس أنّهما خاصّان بالمال وبين الإرث على أساس أنّه خاص بالحسب»[4].

---

[1] أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، القاهرة، مصر، ط1، 1961، ص88.

[2] ابن منظور، لسان العرب، 200/2.

[3] صالح العلي الصالح، أمينة الشيخ، المعجم الصافي في اللغة العربية، دار المشرق الأوسط، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص91.

[4] محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص22.

وعرّف إبراهيم أنيس التّراث بأنّه: «العلم الذي يبحث في انتقال صفات الكائن الحي من جيل إلى آخر وتفسير الظّواهر المتعلقة بهذا الانتقال»[1].

إذا فكلمة التّراث مشتقة من (و رَ ثَ)، وقد وردت بمعنى مادي ومعنى معنوي، فالمادي يتعلّق بالتركة والمال، أمّا المعنوي يتعلق بالحسب، ومعنى هذا أنّ الدّلالة الحديثة للتراث بمثابة توظيف مجازي للدلالة المعجمية القديمة.

2. التّراث اصطلاحا

لقد اختلف النّقاد والمفكّرون في تحديد مفهوم مصطلح التّراث، فنجد حسن حنفي يعرّفه على أنّه: «التّراث كلّ ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فهو إذن قضية موروث، وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على عديد من المستويات»[2].

وهنا يمكننا القول أنّ التراث هو القديم، والجديد هو الذي يفسّر الّتراث على أساس وجود علاقة بين القديم والجديد.

أمّا القمالي السّيد يعرف التّراث على أنّه: «موروث عن الأجداد ترك لنا فيه نتاج خبراتهم ومعارفهم، لنصل إلى التّراث بوصفه موروثا فاعلا ومتطورا، فالنّاس هم صنّاع التراث يصيغونه وفق ظروفهم وحاجاتهم»[3].

والتّراث أيضا هو: «كلّ ما خلّفه السّلف للخلف سواء مادّيا أو معنويّا، وبعبارة أخرى هو كلّ ما ورثته الأمّة وتركته من إنتاج حضاري أو فكري، أمّا فيما يتعلق بالإنتاج الأدبي والعلمي والصّور الحضاريّة التي ترسم واقع الأمّة ومستقبلها، وهذا يعود إلى بدء المعرفة الإنسانيّة بأشكالها وأساليب التّعبير بأنواعها، سواء في المخلّفات الأثريّة أم فيها سجلّ في وثائق الكتابة»[4].

ومن خلال ما سبق نستنتج أنّ التّراث هو المخزون الثّقافي المتنوّع والموروث من قبل الآباء والأجداد والمشتمل على القيم الدينيّة والتّاريخيّة والحضاريّة لما فيها من عادات، سواء كانت

[1] إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط، دار العودة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1024/2.
[2] حسن حنفي، التراث والتجديد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1994، ص13.
[3] القمالي السيد، الأسطورة والتّراث، المركز المصري للبحوث والحضارة، القاهرة، مصر، ط3، 1999، ص13.
[4] إدريس قرقوة، التراث في المسرح الجزائري، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، د.ط، 28/1.

هذه القيم مدوّنة في كتب التّراث أو متوازنة أو مكتسبة بمرور الزّمن، أي أنّ التّراث هو روح الماضي والحاضر والمستقبل للإنسان.

الفصل الأول:

المثلث التعليمي والتراث.

المبحث الأوّل: المعلّم/ المؤلف

تمهيد في مفهوم المثلّث التّعليمي

إنّ الحديث عن التّعليميّة يقودنا بالضّرورة إلى الحديث عن المثلّث التّعليميّ الذّي يعتبر ضرورة كبيرة في التّعليم، وهذا المثلّث يشمل ثلاثة أقطاب (المعلّم، المتعلّم، المعرفة) كلّ منهم يكمّل الآخر ويتمّمه.

يعرّف أحمد الفاسي المثلّث الدّيداكتيكي بأنّه: «هو ذلك المثلّث المعبّر عن الوضعيّة التّعليمية باعتبارها نسقا يجمع بين ثلاثة أقطاب غير متكافئة هي التّلميذ (المتّعلم) والمدّرس (المعلّم) والمعرفة (التّعليم)، وما يحدث من تفاعلات بين كلّ قطب من هذه الأقطاب في علاقة بين القطبين الآخرين وتهتم "الدّيداكتيك" بدراسة وتحليل القضايا والظواهر التّي تفرزها هذه التّفاعلات»[1].

ونستنتج من هذا أنّ المثلث الديداكتيكي هو عبارة عن عمليّة تفاعل بين كلّ من المدرّس والمتعلّم والمعرفة، ويساعد هذا المثلّث على التّطوير في مجال التّعليم، ويمكن أن نلخص هذه العناصر في الشّكل التّالي:

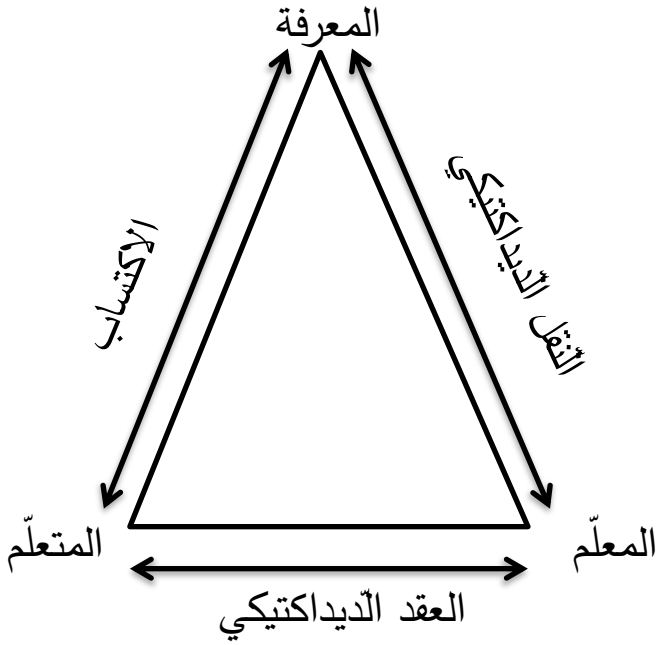

[1] أحمد الفاسي، الديداكتيك مفاهيم ومقاربات، جامعة عبد المالك السّعدي المدرسة العليا للأساتذة، تطوان، المغرب، ط1، 2004، ص06

يوضّح هذا الشكّل العلاقات بين أقطاب المثلّث الديداكتيكي، أمّا بالنّسبة إلى المحور الممثّل للعلاقة بين التّلميذ والمعرفة، فهو اكتساب التّلميذ للمعرفة قصد بناء تعلّمات جديدة، في حين أنّ المحور الممثّل للعلاقة بين المدرّس والمعرفة (النّقل الديداكتيكي)، هو كيفية إعادة بناء المعرفة وتقديمها في شكل مناهج وبرامج، وأمّا بالنّسبة للمحور الممثّل للعلاقة بين المدرّس والتّلميذ تكمن في تسهيل حصول التّعلّم وإعداد وضعيّات ديداكتيكية، وهذا ما يساعد على تكامل العمليّة التّعليميّة.

وبناءا على هذا سنحاول أن نستعرض باختصار تعريف المعلّم والمؤلّف مع ذكر خصائصهما ومدى انعكاساتهما على شخصيّة السّيوطي.

المطلب الأوّل: المعلّم/المؤلّف

يعدّ المعلّم قطبا من أقطاب العمليّة التّعليميّة باعتباره همزة وصل بين المتعلّم والمادّة المعرفيّة، أما المؤلّف عموما هو الشّخص الذّي يتحدّث شيئا جديدا فيُكسبه حقوقا ويحمّله مسؤوليّة هذا المنتج، وقد جمعنا هذان العنصران في هذا المبحث لأنّ المعلّم هو نفسه المؤلّف في المنظومة، ولا بأس في هذا السّياق أن نذكر تعريفا موجزا للمعلّم، وتعريفا للمؤلّف ثمّ نبحث عن معالم هذين المفهومين في شخص السّيوطي.

1.المعلّم

عرّفه عسعوس محمّد بأنّه: «هو الشّخص والمربّي الذّي يحاول بالقدرة والمثال إكساب التّلاميذ العادات والشّكل العام للسّلوك المنشود، أو الكائن الوسيط بين المتعلّم والمعرفة وهو ناقل للمعرفة وما اكتسبه من نظريّات وقوانين علميّة ومنهجيّة وموضوعيّة»[1].

ومن خلال هذا التّعريف نستنتج أنّ المعلّم هو القطب الهام ضمن عناصر العمليّة التّعليميّة باعتباره همزة وصل بين المتعلّم والمادّة المعرفيّة، كما يعتبر المعلّم مساهما في تنشئة التّلاميذ لكي يمكّنهم من التّكيّف والتّلاؤم مع المعطيات البيئيّة الاجتماعية.

[1] عسعوس محمد: مقاربة التعليم والتعلّم بالكفاءات، دار الأمل للطباعة للّنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، ص83.

2.المؤلّف

هو من يقوم بإبداع فكرة والبناء عليها ليصدر مؤلّفاً متناسقا يعبّر عن ذاته وخلاصة أفكاره، ولابدّ له مع الموهبة دراسة أصول التّأليف والبلاغة وقواعد اللّغة والأدب بشكل عام ليخرج أسلوبه مميّزا. وقد عرّف الشّهراني المؤلّف بقوله: «إبداع العالم أو الكاتب بما يحصل في الضّمير من الصّور العلميّة في كتاب ونحوه»[1].

تطرّقنا إلى تعريف المعلّم وتعريف المؤلّف لما يجتمع بينهما من المناسبة في هذه المدوّنة، فإنّ كليهما يجتمع في شخصيّة السّيوطي الذي هو مؤلّف المدوّنة التي هي مدار بحثنا هذا.

3.1. سيرة جلال الدّين السّيوطي

يعدّ الإمام جلال الدّين السّيوطي من أشهر الفقهاء والمفسّرين والمؤلّفين، وهو من أبرز معالم الحركة العلميّة والدّينيّة والأدبيّة في النّصف الثّاني من القرن التّاسع الهجري، حيث ملأ نشاطه العلمي في تأليف مختلف الفروع في ذلك الزّمان من تفسير وحديث وفقه وتاريخ ونحو ولغة وأدب وغيرها...

أ. مولده

«ولد في مصر بعد المغرب ليلة الأحد مستهلّ رجب سنة تسع وأربعين وثمان مئة، الموافق ل: 1445/10/03 ميلاديّة»[2].

ب. اسمه

ذكره إياد خالد الطّباع في بداية كتابه: «هو الإمام الحافظ أبو الفضل جلال الدّين عبد الرّحمان بن كمال الدّين أبي المناقب أبي بكر بن ناصر الدّين محمّد بن سابق الدّين

[1] حسين بن معلوي الشّهراني، حقوق الاختراع والتّأليف في الفقه الإسلامي، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، الرّياض، جدّة، ط1، 2004، ص 83.

[2] إياد خالد الطّباع، جلال الدّين السّيوطي معلمة العلوم الإسلامية، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص 29.

أبي بكر بن فخر الدّين ناصر محمّد بن سيف الدّين خضر بن نجم الدّين أبي الصّلاح أيّوب بن ناصر الدّين محمّد بن الشّيخ همام الدّين الخضيري الأسيوطي»[1].

ج. نسبه

يعرف السيّوطي بلقب الخضيري نسبة إلى خضيرى ببغداد التي عاش فيها جدّه الأوّل، وسنوجز نسبه حسب ما جاء في كتاب الأشباه والنّظائر: «وأمّا نسبتنا بالخضيرى، فلا أعلم ما تكون إليه هذه النّسبة إلّا الخضيرية، محلّة ببغداد، وقد حدّثني من أثق به، أنّه سمع والدي، رحمه الله يذكر أنّ جدّي الأعلى كان أعجميّا أو من المشرق، فالظّاهر أنّ النّسبة إلى المحلّة المذكورة»[2]. وعلى حسب ما جاء في هذا الكلام، فإنّنا نستنبط أنّ السّيوطي من أصل مختلط عربي وأعجمي.

د. نشأته وطفولته وشروعه في الاشتغال بالعلم

نشأ السيوطي في بيئة مليئة بالعلم ولازم العديد من العلماء، وفيما يأتي نبذة عن ذلك: «وُلد الإمام السّيوطي لعائلة من أهل العلم، فقد عُرف جدّه همام الدّين بأنّه من أهل الحقيقة ومن مشايخ الطريقة، وكان والده إماما في الفقه وغيرها الكثير من العلوم، ونشأ السّيوطي في القاهرة حيث كان والده يسكن فيها، وكان الإمام الحافظ ابن حجر–وهو شيخ والده– يُقيم فيها المجالس وقد حضر السّيوطي مع والده مجلسا له وهو بعمر الثّالثة، وقد حفِظ السّيوطي من القرآن الكريم حتى سورة التّحريم بحياة والده، إذ تُوفّي والده وهو بالسّادسة من العمر، وأصبح تحت وصاية الشّيخ جمال الدّين بن الهمام»[3]، وكما يقول عن نفسه: «وحملتُ في حياة أبي الشّيخ محمد المجذوب، القرآن الكريم ولي دون ثمان سنين ثم حفظت العمدة، ومنهاج الفقه والأصول، وألفية ابن مالك، وشرعتُ في الاشتغال بالعلم، من مستهل أربع وستين، فأخذتُ الفقه والنّحو عن جماعة من الشّيوخ، وأخذت الفرائض عن العلاّمة فرضي زمانه الشّيخ شهاب الدّين الشارمساحي، وأجزتُ بتدريس

[1] إياد خالد الطّباع، جلال الدّين السّيوطي معلمة العلوم الإسلامية، ص 30.
[2] جلال الدّين السّيوطي، الأشباه والنّظائر في قواعد وفروع فقه الشّافعيّة، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرّياض، جدّة، ط2، 1997، ص د.
[3] جلال الدّين السّيوطي، حسن السّمت في الصّمت، دار العلم والإيمان للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2010، ص45،44.

العربيّة في مستهل سنة ست وستّين»[1]، فنرى أنّ السيوطي كان طيلة حياته منشغلا بالعلم، فقد تمتّع بذاكرة واعية وملكة حفظ قويّة، فاستطاع أن يختم القرآن الكريم وهو دون الثامنة من عمره وعقِب ذلك حفظ العمدة وغيرها، ونجده قد برع في علوم عدّة منها الفقه والبلاغة والقرآن والنّحو والصّرف وغيرها من العلوم الأخرى.

هـ. رحلاته

يعدّ السّيوطي من الرُّحّال الذين اعتنوا بفن الرّحلة، فبذلوا وسعهم في الاستفادة منها في تلقّي العلوم، فكان له رحلتين هما: الرّحلة الحجازيّة والرّحلة المصريّة.

*** الرحلة الحجازية**

كانت سنة (869)، حيث توجّه إلى الحجاز الشّريف لأداء فريضة الحج، وكان سفره في البحر الأحمر(القلزم) من جهة الطّور، حيث وصل مكّة المكرّمة في نصف جمادى الآخرة، واجتمع بنحويّ الحجاز أبي العبّاس الخزرجي السّعدي، كما اجتمع أيضا بالحافظ نجم الدّين عمر بن الحافظ تقي الدّين، فكتب عنه من نظمه عدّة مقاطيع. كما أخذ عنه من شيوخ الرّواية، وفي هذه الرّحلة ألّف كتابا يحتوي على النّحو ومعان وبديع وعروض وتاريخ».[2]

***الرّحلة المصريّة**

وقد قام بها السيوطي سنة (870)، فأنشأ رحلة أخرى إلى دمياط والإسكندرية وأعمالهما، وذلك في رجب من هذه السّنة. وممّن سمع منه واستجازه من أقرانه: الفاضل جلال الدّين محمّد السّنودي الشّافعي، سمع من نظمه وكتب "شرح الألفيّة" من تأليفه وغيره. كما سمع أيضا من الفاضل شمس الدّين محمّد المنزلي وشمس الدّين بن عليّ العطائي»[3].

[1] جلال الدّين السّيوطي، الأشباه والنّظائر في قواعد وفروع فقه الشّافعيّة، ص د.

[2] محمد موسى، إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي والعلماء، دار الأندلس الأخضر، السعوديّة، جدّة، ط1، 1997، ص 42.

[3] المرجع نفسه، ص 43.

«وقد جمع السيوطي فوائد هذه الرّحلة في تأليف أسماه "الاغتباط في الرّحلة إلى الاسكندرية ودمياط"»[1]. ويظهر أنّ الرّحلة قد أسهمت في تشكيل شخصيّة السّيوطي وساعدته على اكتساب التّجربة والخبرة في مجال التّأليف.

و. شيوخ السّيوطي

عاش السّيوطي في عصر كثُر فيه العلماء الأعلام الذين نبغوا في ميادين متعدّدة كعلوم القرآن والفقه والأصول ... وقد حظي بملازمة كبار الشّيوخ في ذلك العصر، فكان له نحو ست مئة شيخ، وقد اكتفى في معجمه "المنجم" بذكر خمسة وتسعين ومئة منهم. اكتفينا بذكر البعض منهم وهم:

علم الدّين البلقيني: «إنّه علم الدّين صالح بن شيخ الإسلام سرّاج الدّين عمر بن رسلان البلقيني الشّافعي، وعليه أخذ السّيوطي الفقه ذلك أنّ السّيوطي شافعي حسبما هو معروف، وهو الذي أجازه بالتّدريس، ولعلّ نبوغ السّيوطي في الفقه يرجع في أصوله – بعد حسن استعداده ومتابعة التّحصيل – إلى شيخه الجليل علم الدّين البلقيني»[2].

محي الدّين الكافيجي: «كان الشّيخ محي الدّين الكافيجي أكثر مشايخ السيوطي عطاء له واهتماما به وحدبا له، فقد لازمه السّيوطي أربعة عشر عاما كاملة، ينهل من معين علمه ويكتسب من غامر فضله ألوانا شتّى من صنوف المعرفة»[3].

تقي الدّين الشُّمني: «كان عالما إماما في التّفسير والفقه والحديث والأصول والكلام والنّحو والمعاني والبيان، فقد احتفل السّيوطي بترجمته في كلّ من حسن المحاضرة وبغية الوعاة، وتأنّق في أسلوب التّعريف به تأنُّق الكتاب من اهل الصّناعة»[4].

---

[1] جلال الدّين السّيوطي، التّحدّث بنعمة الله، تح: إليزابيث ماري سارتين، المطبعة العربيّة الحديثة، القاهرة، مصر، د.ط، 2016، ص 73.

[2] مصطفى الشّكعة، جلال الدّين السّيوطي مسيرته العلميّة ومباحثه اللّغويّة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، د.ط، 1981،ص16.

[3] المرجع نفسه، ص 20.

[4] المرجع نفسه، ص 18.

ومن شيخاته نذكر: «أمّ الفضل بنت محمّد المقدسي، أمّ هاني بنت الهوريني، أمّ الفضل المصريّة، فاطمة بنت اليسير، خديجة بنت أبي الحسن، أمة العزيز بنت محمّد بن يوسف الألباني ...»[1]، نرى أنّ للسّيوطي الكثير من الشّيوخ في جميع العلوم، وهذا ما ساعده في اكتساب المعارف والعلوم في جميع الميادين.

ز. تلاميذ السّيوطي

تتلمذ على يد السّيوطي كثيرون برع منهم أئمّة لهم شأن منهم:

- «الشّيخ محمّد بن عليّ الدّاودي المالكي.
- شمس الدّين الفيّومي.
- أحمد بن محمّد بم عليّ بن حجر الهيثمي الشّافعي.
- الشّيخ الإمام محمّد بن يوسف الشّامي الصّالحي.
- محمّد بن عبد الرحمان العلقمي»[2]

ح. مؤلّفاته

إنّ عدد مؤلّفات جلال الدّين السّيوطي لم يسبقه إليه أحد، فاليوم تعجز المؤسّسات ومراكز البحوث عن إنجاز ما أنجزه، وسنذكر أبرز مؤلّفاته:

- «الإتقان في علوم القرآن.
- الأزهار المتناثرة في شرح نظم الدّرر في علم الأثر.
- تدريب الرّاوي شرح تقريب النّووي.
- الدّر النّثير في تلخيص نهاية ابن الكثير.
- صون المنطق والكلام عن فنّ المنطق والكلام.
- لب الألباب في تحرير الأنساب.
- عقود الجمان في علم المعاني والبيان.

[1] إياد خالد الطّباع، الإمام الحافظ جلال الدّين السّيوطي معلمة العلوم الإسلاميّة، ص 68.
[2] المرجع نفسه، ص 73.

- المزهر[1].

فهذه الكتب تضمّنت مختلف العلوم، وهذا دليل على عطاء وسخاء السّيوطي ووفرة كتبه وتنوّع ثقافاته وكثرة اطّلاعه ما جعله متميّزا في عصره عن بقيّة أقرانه.

ن. وفاته

«تمرّض السّيوطي بورم شديد في ذراعه اليسرى، فمكث سبعة أيّام، وتوفيّ في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر من جمادى الأولى سنة 911 هجري، الموافق لـ: 1505/10/17 ميلادي، في منزله بروضة المقياس، وقد استكمل من عمره إحدى وستّين سنة»[2].

فالكلام على سيرة السّيوطي لا يعكس شخصية المعلّم إلّا من خلال تفصيل الكلام على خصائص المعلّم الفعّال، ويمكن تصنيف هذه الخصائص إلى:

المطلب الثّاني: الخصائص الشّخصيّة

1.قوة الشّخصيّة:

إنّ قوة الشّخصيّة عامل مهم جدّا في نجاح المعلم في إدارة صفِّه وحسن قيادته لتلاميذه، وتقول جمانة محمد عبيد في ذلك: «نحتاج دائما إلى معرفة ما نريده ومتى يمكن تحقيق ذلك، فنحن دائما مسيّرون ملهمون، فإن قوة الشّخصيّة عامل مهم جدّا في نجاح المعلم في إدارة صفّه وحسن قيادته لتلاميذه من خلال حديثه ونظرته إليهم، ودون أن يلجأ إلى الصّراخ أو رفع الصّوت أو حمل العصا، بل بما يملكه من قدرات قيادية وغزارة علم ومحبّة لتلاميذه»[3]، ونعني بقوة الشّخصيّة في التّدريس القوّة المعنويّة التي تمكّن المدرّس في أن يمتلك زمام صفّه وتحمّل تلاميذه على أن يُقبلوا عليه، ويمتزجوا به ويستجيبوا له، وطبيعي أن هذه الشّخصيّة لا ترتبط دائما بضخامة الجسم أو جهامة الوجه أو غلظ الصّوت.

[1] مصطفى الشّكعة، جلال الدّين السّيوطي مسيرته العلميّة ومباحثه اللّغوية، ص ص127-132.

[2] إياد خالد الطّبّاع، جلال الدّين السّيوطي معلمة العلوم الإسلاميّة، ص 436.

[3] جمانة محمّد عبيد، المعلم: اعداده، تدريبه، كفاياته، دار الصّفاء للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص78.

ويمكن أن نستشف هذه القوّة من خلال عدّة ملامح في قوة شخصيّة السّيوطي، حيث يقول عنه الباحث التّاريخي إياد الطّباع: «إنّ الإمام السّيوطي شخص صاحب مبادئ، ولا يتّبع الآخرين، وليس من السّهل أن يخضع لجشع النّاس»[1]، ونضيف على هذا أنّه كان رجلا أبيًّا صاحب مبادئ لا يخضع لأحد، ولا تذلّه الأطماع يقول الحقّ، ولو جلب إليه العداوة.

ويقول ابن عماد في شخصيّة السّيوطي: «وضع نفسه في مكانته التي يستحقّها، وسلك معهم سلوك العلماء الأتقياء فإذا لم يقع سلوكه معهم موقع الرّضا قاطعهم وتجاهلهم، وكان الأمراء الأغنياء يأتون إلى زيارته ويعرضون عليه الأموال النّفيسة فيردّها، وأهدي إليه الغُوري خَصِيًّا وألف دينار، فردّ الألف الخصيّ، فأعتقه وجعله خادمًا في الحجرة النّبويّة»[2]، وفي نفس السّياق يقول إياد الطّباع: «...وكانت الملوك والأمراء تسعى إلى منزله، ويأتون إلى خدمته، ويجلسون بالأدب في حضرته ويعظّمونه، ويفتقدونه، ولم يكن عندهم أحد في مرتبته، ويسألونه ألك حاجة يا سيّدي؟ فما يزيدهم على أن يقول لهم في الجواب: حاجتي إلى الله، ولا يلتفت إلى ما عندهم من المال والجاه»[3].

ومن هنا نرى أن السّيوطي أقام مسافة بينه وبين السّلاطين، فكانت علاقته بهم متحفّظة، حيث كان بعض الأمراء يأتون لزيارته، ويقدّمون له الأموال والهدايا النّفيسة، فيردّها ولا يقبل شيئا من أحد، ورفض مرّات عديدة دعوة السّلطان لمقابلته، وألّف في ذلك كتابًا أسماه" ما وراء الأساطين في عدم المجيء إلى السّلاطين"

وكذلك نلمس ذلك من خلال قول السّيوطي في منظومة عقود الجمان في علم المعاني والبيان بقوله:

أرجوزة فريدة من أهلها إذ لم يكن في فنّها كمثلها[4]

[1] المرجع السّابق، ص245.
[2] ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط1، 1686، 76/10.
[3] إياد خالد الطّباع، الإمام جلال الدّين السّيوطي معلمة العلوم الإسلاميّة، ص 76.
[4] جلال الدّين السّيوطي، عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ترتيب وتنسيق : محمّد نعمان علي البعداني، جامعة الإيمان، د.ط، 2009، ص 66.

فمن خلال هذا البيت، بيّن السّيوطي لنا أن هذه المنظومة لم يأت أحد بمثلها على الإطلاق، وهذا دليل على ثقته بنفسه وقوّة شخصيته. واستنادا على المواقف السّابقة الذّكر نرى أنّ السّيوطي موهوب في طرق تدريسه، فنجده يقسّم الطّلبة الذين أخذوا عنه فقال: «وأمّا التّدريس؛ فأخذ عنّي ثلاث طبقات:

طبقة أولى: كانت خيرًا صِرفًا، دينًا وفضلاً وصدقًا وعزمًا، فحيّاها الله وبيّاها، وأسبغ عليها رحمته مماتها ومحياها، وأمطر علينا سحائب فضلِه وإيّاها.

- **طبقة ثانية:** تعرف وتُنكر، تشكر وتذمّ، وهذه يُحمل أمرها، ويروج سعرُها، ويخفّف إصرها.
- **وطبقة ثالثة:** الله أكبر ما أكثر شرّها، وأكبر حرّها وأشدّ إصرها، وأنكر أمرها، وأعظم أمرها، وأقوى فجورها، وأوفى كذبها وبُهتانها وزُورها، عظيمة السفه والجهل، ليست للعلم ولا للحِلم بأهل»[1]

ويبدو لنا هنا أن السّيوطي يمتلك قدرات عالية تمكّنه من معرفة أصناف طلاّبه، كما أنّنا نلحظ أنّه بدأ التّدريس في سن مبكّرة وعمره لا يتجاوز العشرين سنة، وشغفه بالعلم جعله يبلغ درجة رفيعة فيه.

2. الذّكاء

يعتبر ذكاء المعلّم من أهم العوامل التي تؤثّر على كفايته في القيام بواجبه التّعليمي، ولذا ينبغي أن يكون ذكاؤه فوق المتوسّط أو متوسط على أقل تقدير. «والذّكاء من أهمّ الصّفات التي يحتاج إليها المدرّس، كما يحتاج إلى تفهّم نفسيّات المخاطبين وعقولهم وواقعهم ومستوياتهم الخلفيّة واتّجاهاتهم»[2].

وجب على المعلّم التّميّز بالذّكاء ليتمكّن من توصيل المعلومات لطلاّبه، فهو يعكس شخصيّة المعلّم وينقذه من كثير من المواقف، ويساعده على تسلسل المعلومات وترتيبها. وينطبق هذا على السّيوطي من خلال قول تلميذه الشّيخ عبد القادر الشّاذلي، أنّ الشّيخ برهان الدّين الكركي

[1] إياد خالد الطّباع، جلال الدّين السّيوطي معلمة العلوم الإسلاميّة، ص329.
[2] علي راشد، شخصية المعلّم وأداؤه في ضوء التّوجيهات الإسلاميّة، دار الفكر العربي، دمشق، سوريا، ط1، 1993، ص 28.

التقى بالسّيوطي في المسجد، فقال له في شدّة: «نحن سبقناك للاشتغال بالعلم على المشايخ، وأنت تأخذ العلم بقوّة الذكاء من الكتب فما كان للسّيوطي إلّا أن ردّ عليه، وهو في غاية الرّاحة: العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده»[1].

وهنا أحسن السّيوطي الرّد على برهان الدّين الكركي بحسن تصرّفه وسرعة بديهته في موقف لم يُحتسب حسبانه، وهذا دليل على فطنته وإبداعه في الرّد والتأمّل في التّعامل مع المعلومات.

3. التّواضع

إنّ المعلم في أمسّ الحاجة إلى التّخلّق بالتّواضع الذي هو خُلق عظيم لما فيه من تحقيق الاقتداء بسيّد المرسلين محمّد صلى الله عليه وسلّم، ولما فيه من نفع عظيم للمتعلمّين. «وقد يكون المرء في موقع يرى منه النّاس مالا يرونه في أنفسهمّ فيُكبّرونه، ويُنزلونه فوق منزلته، والمعلّم من أكثر النّاس عرضة لذلك، فحريٌّ به أن يعرف قدر نفسه؛ فلا ينخدع بما يُقال عنه، ولا يركن إلى ثناء أحد عليه، ولا يدخله العجب والغرور بما يرى من كثرة طلاّب العلّم حوله»[2]، والمعلّم النّاجح نجده دائما متواضعا لا يتباهى بعِلمه أو بعَمله فلا يصيبه الكِبرُ، كقوله صلّى الله عليه وسلّم: "ما تواضع أحد لله إلاّ رفعه الله" رواه مسلم

وينطبق هذا الحديث على السّيوطي، حيث يُظهر تواضعه في بداية منظومة عقود الجمان بقوله:

قال الفقير عابد الرّحمن الحمد لله على البيان[3]

ومن خلال هذا البيت نرى أنّ السّيوطي يُصنّف نفسه ضمن الفقراء، فقد كان يُحسن الاعتقاد فيهم، ولنا أن نضيف أنّه كان زاهدا متعبّدا وهذه صفة العلماء العارفين بالله تعالى.

---

[1] عبد القادر الشاذلي، بهجة العابدين، تر: جلال الدين السّيوطي، تح: عبد الإله نبهان، دار اللّباب، إسطنبول، تركيا، ط1، 1988، ص 32.

[2] علي راشد، شخصيّة المعلّم أداؤه في ضوء التّوجيهات الإسلاميّة، ص45.

[3] السّيوطي، عقود الجمان، ص 03.

4. الإخلاص

إنّ المعلم النّاجح وجب عليه التّحلي بالإخلاص، وأن يقوم بكل واجباته، ويسعى إلى توصيل المعلومة إلى المتعلّم بشتّى الطرق. ويقول المسقطي عن الإخلاص: «أنا أؤمن بأنَّ الفرد، الذي ينقل المعلومة إذا كان مخلصا لعمله كواجب شخصي، وحرص بعيداً عن الجانب الرّسمي، بحيث يتأكد أن الطّالب فهم وأدرك المعلومة، هو هذا المعلّم الحقيقي...»[1]. لذلك يجب على المعلّم النّاجح أن يتميّز بالإخلاص اتجاه عمله وتلاميذه، بالإضافة إلى أن يستخدم كافّة الأساليب والطّرق لتوصيل المعلومات بشكل جيّد، ولا بد له من التّأكد بأنهم استطاعوا فهم ما يريد توصيله إليهم.

وفي المقابل فقد حظي الإمام جلال الدّين السّيوطي بصفة الإخلاص، فقد قال عنه الشّيخ عبد القادر الشاذلي: «إنّه كان مجبولا على الخصال الحميدة في العلّم والعمل، لا يتردد إلى أحد من الأمراء والملوك ولا غيرهم مدّة حياته، وإنّما كان يُظهر كلّما أنعم الله عليه به من العلوم والأخلاق، ولا يكتم منها إلّا ما أمر بكتمه وقد امتحن الشّيخ كثيرا، وما سُمع يوما يدعو على من آذاه من الحسدة، ولا يقابله بسوء»[2].

ومن هنا يتبيّن لنا أنّ السّيوطي كان وسيبقى قمة شامخة في الإخلاص والعلم والعطاء.

5. المظهر الخارجي للمعلّم

يجب على المعلّم أن يهتم بمظهره الخارجي، فهو يحمل رسالة عظيمة، وعليه أن يكون مثالا من حيث الهندام والنّظافة بالبدن. «فالاعتناء بالمظهر العام يحرص عليه المعلّم ليبدو أمام طلاّبه بصورة لائقة وبدون مغالاة في ذلك، ففي ذلك تعظيم للعلم وأهله، فإنّ طبيعة المهنة تفرض عليه أن يكون ذا هندام جذّاب، بما ينسجم مع دوره التّربويّ، بحيث يكون أنيقا ونظيفا ووقورا يعكس صورة المعلّم المأمول في الشّكل والمضمون»[3]، ويمكن أن نستشفّ مظهر السّيوطي من خلال علماء عصره، فنجدهم في المجالس العلميّة يرتدون أرقى وأغلى الملابس

[1] عادل المسقطي، إخلاص المعلّم في نقل المعلومة كفيل بتخريج طالب مثقف، مجلة الوسط، العدد 3939، الأربعاء 19 يونيو 2013، ص32.

[2] عبد القادر الشّاذلي، بهجة العابدين، ص79.

[3] علي راشد، خصائص المعلّم العصري وأدواره، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ط، 2002، ص 61.

كالحرير والدّيباج، «وقد استحسن العلماء في الحاوي أثناء نقاشه لجواز تخصيص الأشراف بالعمامة الخضراء، وتخصيص أهل العلم بلباس يختصّون به من تطويل الأكمام وإدارة الطّيلسان ونحو ذلك؛ ليُعرفوا فيُجَلّوا تكريمًا للعلم، وهذا وجه حسن»[1]، فأمّا في ما يخص شخصيّة جلال الدّين السّيوطي من ناحية المظهر الخارجي، فنحن بحثنا ولم نجد معلومة خاصة عليه.

وبعد استعراض جملة من الآراء والأقوال في الخصائص الشّخصيّة للمعلّم والسّيوطي، تبيّن لنا أنّ المعلّم الفعّال يجب أن يتعامل مع تلاميذه من خلال الصّفات السّامية (قوّة الشّخصيّة، الإخلاص، التّواضع والذّكاء...)، وهذا ما يساعده في التّواصل مع طلّابه وتسهيل التّعامل معهم.

المطلب الثّالث: الخصائص التّعليميّة

1. الإعداد الأكاديمي والمهني

يجب أن يمتلك المعلّم القدرة على عرض الأفكار بطريقة سهلة وواضحة، وأن يحسن اختيار الموضوع وصياغته بطريقة تُناسب المتعلّمين وقدراتهم، «والمعلّم النّاجح الذي يكون متعمّقا في مجال تخصّصه وأن يكون على دراية بكلّ جديد في هذا التّخصّص عن طريق الاطّلاع الدّائم في الكتب والمجلّات العلميّة وحضور المؤتمرات والنّدوات العلميّة، هذا بالإضافة لدرايته بالثّقافة السّائدة في المجتمع سواء كانت سياسيّة أو اقتصادية أو تاريخيّة أو اجتماعيّة»[2]، فالمعلّم المتفوّق في ميدان تخصّصه، يكون مؤهّلا مهنيّا على نحو جيّد، وبذلك يكون أكثر فعاليّة وهذا راجع إلى اطّلاعه على مختلف المعارف في شتّى الميادين.

كما يخبرنا السّيوطي على هذه الخاصّية بأنّه قد بلغ مرتبة الاجتهاد فيقول: «وقد كمُلت عندي الآن آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى، أقول ذلك تحدّثا بنعمة الله تعالى لا فخرا... ولو شئت أن أكتب في كلّ مسألة مصنّفا بأقوالها وأدّلتها النّقلية والقياسيّة، ومداركها ونقوضها

[1] إبراهيم الدوّيري، عادات وتقاليد وفلكلور/ تراث العالم الإسلامي، مجلة الجزيرة، العدد 546، سبتمبر 2021، ص16.

[2] مصطفى عبد السّميع محمّد، إعداد المعلّم تنميته وتدريبه، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص 339.

وأجوبتها، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لَقدرت على ذلك من فضل الله، لا بحولي ولا بقوّتي»[1]، ويتّضح من كلام السّيوطي أنّه قد برع في شتّى العلوم، فلا نجد فنّا من الفنون أو علما من العلوم أو رسالة إلّا وله فيها كتابا أو مصنّفا، وهذا يجعلنا نتطرّق إلى ما كان يحظى به السّيوطي من ألقاب التّكريم والثّناء، حيث كانوا يكنّونه بـ: الحافظ، أبو الكتب، أبو الفضل...

2. اتّساع المعرفة والاهتمامات

إنّ المعلّم النّاجح والفعّال تزداد فعاليته بازدياد مستوى ثقافته، واطّلاعه على المعارف التي تكمن في ميدان تخصّصه والميادين الأخرى، فسعة اطّلاعه على هذه الميادين تجعله أكثر تفوّقا ومعرفة واطّلاعا. ولقد بلغ السّيوطي ذروته في شتّى الميادين وهذا راجع إلى تردّده إلى المكتبات الأخرى كالمكتبة المحموديّة التي كانت آنذاك أكبر مكتبة في القاهرة، والمصنّفات التي تركها له والده، وهذا ما جعله يدّعي أنّه ليس على وجه البسيطة أعلم منه فيها. ويقول السّيوطي عن نفسه: «وقد رُزقت، ولله الحمد، التّبحر في سبعة علوم: التّفسير، والحديث، والفقه، والنّحو، والمعاني، والبيان، والبديع على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة المتأخّرين من العجم وأهل الفلسفة، بحيث إنّ الذي وصلت إليه في هذه العلوم سوى الفقه لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلا عمّن دونهم. ودون هذه السّبعة في المعرفة أصول الفقه، والجدل، والتّصريف»[2].

ونرى أنّ السّيوطي كان متبحّرا في العلوم السّبعة (التّفسير، والحديث، الفقه، النّحو، المعاني، البيان، البديع)، بالإضافة إلى علوم الفقه، الجدل، التّصريف، القراءات والطّب...وأمّا الحساب فكان أعسر شيء عليه.

المطلب الرّابع: الخصائص الاجتماعيّة

لا بدّ للمعلّم الكفء أن يتحلّى بمجموعة من السّمات الاجتماعية. «والمعلّم النّاجح هو المعلّم الذي يُوفّر بيئة ثريّة تشجع إقبال التّلاميذ على التّعلّم وخلق جو ودّي صالح لإقامة أفضل علاقة طيّبة بين المعلّم وتلاميذه، فالمعلّم يتميّز بأنّه ودود اجتماعي ينشر روح الودّ

[1] جلال الدّين السّيوطي، حسن المحاضرة، ص 339.

[2] إياد خالد الطّباع، الإمام جلال الدّين السّيوطي معلمة العلوم الإسلاميّة، ص 73.

والعطف والتّسامح بين تلاميذه، ويلعب دورا هامّا كمصطلح اجتماعي في إصلاح ذات البين ومحاولة إزالة الخلافات والمشاجرات بين التّلاميذ»[1]. لذلك وجب على المعلّم أن يُشجّع تلاميذه ويساعدهم على الانتماء عن طريق الإيمان بقدراتهم العقليّة وخلق جوّ ودّي بينهم.

وهنا نريد أن نلمس بعض جوانب الحياة الاجتماعيّة التي عاش فيها السّيوطي، حيث كانت «حياته حافلة بالنّشاط العلمي والاجتماعي، وقد شغل مناصب جليلة، وقامت بينه وبين منافسيه خصومات ودرس على كثرة من شيوخ عصره، كما أخذ الحديث عن نساء فضليات»[2]، ونجده في المقابل اعتزل عن السّلاطين وعزل نفسه عن سائر الوظائف، وهكذا نرى أنّه كان اجتماعيّا مع تلاميذه وشيوخه (النّخبة العلميّة) ولكنّه مترفّع عن السّلاطين والحكّام.

المطلب الخامس: الخصائص النّفسيّة

يحتل المعلّم مكانة هامّة في العمليّة التّربويّة وهو الأمر الذي يجعل من الاهتمام به أمرا هامّا خاصّة من النّاحية النّفسيّة، «وينبغي أن يتمتّع المعلّم بقدر مرتفع من فهم الذّات والرّضا عنها، وعن أحواله وظروف حياته المختلفة، وهو ما يُعرف حاليّا لدى الباحثين بمفهوم الذّات ويُؤدّي رضا الفرد عن ذاته ونظرته إليها نظرة إيجابية إلى السّواء النّفسي، والعمل على مساعدة الآخرين والتّعاون معهم»[3]. لذلك يجب على المعلّم أن يعمل على تطوير ذاته بغية تسهيل العمل والتّواصل مع المتعلّم.

ويبدوا لنا هذا ظاهرًا في شخصيّة السّيوطي حيث يقول عن نفسه: «إنّ الله سبحانه من فضله وكرمه جبلني من حين كنتُ ابن سبع سنين على خصال: منها حبُّ الخير والعمل الصّالح والإصغاء إلى الحثِّ عليه وكراهة الشّر والعمل السيء، والنّفور عمّن دعا إليه. ومنها حُسن الاعتقاد إلى الفقراء، وأهل الصّلاح، والزّهد والتّعبّد، وكلّ ما يُنسب إلى شيء من خصال

[1] بلخير مليكة، خصائص المعلّم النّاجح، مذكّرة لنيل شهادة الدّكتوراه في الأدب العربي، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، 2015، ص 52.

[2] ابن عماد الحنبلي، شذرات الذّهب، 53/8.

[3] http//islamic-education1.blogspot.com.

الخير. ومنها كثرة التّأني في الأمور، وعدم المبادرة...»[1]، وهذه هي الخصال والأخلاق التي تحلّى بها السّيوطي في تعاملاته مع المجتمع، وهذا ينطبق على تعاملاته مع تلاميذه.

فالمعلّم النّاجح هو الذي يتميّز بخصائص وصفات تجعله معلّما ماهرا بارعا وقدوة صالحة ونموذجا للمتعلّمين، ومن بين هذه الصّفات شخصيّة، تعليميّة، اجتماعيّة، نفسيّة، فهو لبّ العمليّة التّعليميّة وأحد أهم عناصرها فيؤثّر فيها بشكل فعّال ويساهم في الارتقاء بها.

[1] إياد خالد الطّباع، الإمام الحافظ جلال الدّين السّيوطي معلمة العلوم الإسلاميّة، ص 77.

المعرفة هي عنصر مهم من عناصر العمليّة التّعليميّة الثّلاثة، التي جرت الإشارة إليها سابقا، والمعرفة في هذه المدوّنة التي اخترناها تتمثّل في علم البلاغة بفروعها ومعارفها وتفاصيلها. ونحن سنحاول أن نختصر كيفيّة ذكر السّيوطي للمعرفة البلاغيّة وفروعها في هذه القصيدة من جانبها التّعليمي.

المبحث الثّاني: المعرفة/ المرجعيّات

لقد تعدّدت مفاهيم البلاغة عند العلماء، فمنهم من يقول أنها الإيجاز، ومنهم من يقول أنّها إبلاغ المتكلّم حاجته بحسن إفهام السّامع، وقيل هي القوّة على البيان وحسن النّظام، وهي لب العربيّة، وقد وُضعت لخدمة القرآن الكريم ولخدمة علوم العربيّة عامّة. وسنحاول في هذا العنصر (المعرفة/ المرجعيّات)، أن نبيّن مفهوم البلاغة وأقسامها من خلال منظومة عقود الجمان في علمي المعاني والبيان للسّيوطي. مع ذكر بعض التّعريفات المطابقة لما جاء في هذه المنظومة.

المطلب الأوّل: البلاغة في منظومة عقود الجمان في علمي المعاني والبيان

تُعدّ هذه المنظومة من أهم المنظومات البلاغيّة العربيّة التي ظهرت في القرن التّاسع الهجري، وقد نظم السّيوطي هذه الأرجوزة في ألف بيت وستّة، وهي على بحر الرّجز، وخرج عن هذا البحر في بعض الأبيات، وقد سمّاها بالألفيّة، فتناول فيها علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، فجاءت شاملة جامعة لعلم البلاغة.

تطرّق السّيوطي في منظومته لتعريف البلاغة، قائلا

بَلاغةُ الكلامِ أن يطابـــقا لمقتضى الحالِ وقد توافـــقَا

فصاحةٌ والمُقتضَى مختلف حسب مقَامَاتِ الكلامِ يُؤلـفُ[1]

[1] السّيوطي، عقود الجُمان في علم المعاني والبيان، ص 4.

فمقتَضَــى تنكِـيرُهُ وَذِكــرهُ والفَصلُ الايجازُ خِلاف غيرِه
كذا خطابٌ للذّكيّ والغبيّ وكلِمـــــةٌ لهَا مقــامٌ أجنبـيٌّ[1]

هذا تعريف من النّاظم لبلاغة الكلام، وهي مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركّبها؛ أي يختلف مقتضى الحال باختلاف الأحوال وكذلك باختلاف المخاطبين. وهذا التّعريف مطابق للتّعريف القزويني للبلاغة، حيث عرفها بأنّها: «مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته»[2]

كما شرح هذه الأبيات بقوله: «...فإن مقام التّذكير يخالف مقام التّعريف، ومقام الذّكر يخالف مقام الحذف، ومقام الفصل يخالف مقام الوصل ومقام الايجاز يخالف مقام الإطناب والمساواة ومقام التّأخير يخالف مقام التّقديم وخطاب الذّكي يخالف خطاب الغبي ولكل كلمة مع أخرى تصحبها في أصل المعنى مقام»[3]. فتدلّ البلاغة على القدرة على إيصال المعنى الكامل للخطاب للمتلقي، سواء كان المتلقي سامعا أم قارئا، فعندما يمتلك الإنسان البلاغة فيمكنه أن يقوم بإيصال المعنى الذي يقصده للمستمع بإيجاز.

وكما أشار السّيوطي إلى العلاقة الموجودة بين الفصاحة والبلاغة، ويظهر ذلك في قوله:

ويُوصفُ اللّفظُ بتلكَ باعتِبار إفادةِ المعنَى بتركيب يُصار
وقد يُسمّى ذاك بالفصاحـةِ ولبلاغةِ الكـلام ساحـــة
بطرفين حدّ الاعجاز عـل ومــاله مقارب والأسفــلُ
هو الذي إذا لدونــه نــزل فهو كصوت الحيوان مستفل[4]

[1] السّيوطي، عقود الجمان، ص4.
[2] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص41.
[3] السّيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، 1939، ص41.
[4] السّيوطي، عقود الجمان، ص4.

بينهمـــا مراتـــبٌ وتتبـــّع بلاغة محسّنـــاتٍ تبـــدع[1]

يبيّن لنا السّيوطي من خلال هذه الأبيات العلاقة الجامعة بين الفصاحة والبلاغة، حيث أن كلاهما يختصّان باللّفظ والمعنى، فالفصاحة تبتدئ من اللّفظ وتنتهي إلى المعنى، أمّا البلاغة تبتدئ من المعنى وتنتهي إلى اللّفظ، وأنّ الكلام له طرفان أعلى وأسفل؛ فالأعلى ما يختص بالإعجاز من قرآن كريم وحديث نبوي شريف، والأسفل قرنه بصوت الحيوان في خلوّه عن الحسن حتّى وإن كان صحيح الإعراب، وأنّ المحسّنات اللّفظيّة معروفة في البديع تابعة لبلاغة الكلام تورثه حُسنا وعُذوبة، فكلّ بليغ فصيح؛ لأن الفصاحة شرط للبلاغة، وقد يكون فصيح وهو مخالف لمقتضى الحال، وهو ما جاء في قوله:

فهو فصيح من كليم أو كلام وعكس ذا ليس يناله التزام[2]

فهو يبيّن لنا من خلال هذا أنّ الكلام لا يكون بليغا حتّى يكون فصيحا لوجوب توفّر شرط الفصاحة فيه، في حين أشار أبو هلال العسكري في كتابه الصّناعتين إلى أنّه «لا يوجد فرق بين الفصاحة والبلاغة عموما؛ إذ ترجعان إلى معنى واحد بغضّ النّظر عن اختلاف الأصل، فيستدلّ بالفصاحة على الإبانة والبلاغة على الإظهار، ولكن اجتمعت الكثير من الآراء على أنّ الفرق بينهما يكمن باقتصار الفصاحة على وصف الألفاظ، بينما تأتي البلاغة لتقدّم الوصف للّفظ مع المعنى في آن واحد»[3]. فيقصد هنا أنّه لا يوجد فرق بين هذين المصطلحين بشكل عامّ، فهما يندرجان تحت معنى واحد بصرف النظر عن اختلاف الأصل والمغزى.

وكما مهّد السّيوطي لفنون البلاغة الثّلاثة، وعن تمييز الفصيح من غيره، فيقول:

---

[1] السّيوطي، عقود الجمان، ص4.

[2] المرجع نفسه، ص 4.

[3] أبو هلال العسكري، الصّناعتين، تح : علي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العنصريّة، بيروت، لبنان، 1998، ص 218.

ومـرجِعُ البلاغة التّحـــرُّز عن الخطأ ذِكـرُ معنى يُبـرزِ

والمَيزُ للفصِيح مَن سِـواه ذَا يُعرَفُ في اللُّغة والصّرفِ كـذا

في النّحو والذي سِوى التّعقُّد المعنـــوي يُدرَكُ بالحِـسّ قـــد

وما به عن الخطأ في التّأدية مُحترزٌ علـمُ المعاني نُسمّيـــه

وما عن التّعقيـد فالبيـــان ثُمّ البديـــع ما به استحســـان[1]

ويقصد هنا: «أنّ البلاغة مرجِعها إلى التّحرّز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وإلاّ لأدّاه لغير مطابقة وإلى تميّز الفصيح من غيره، وإلا لأورد المطابق للفظ غير فصيح فلا يكون بليغا»[2]. فنرى من خلال قوله أن الكلام قد يكون مطابقا وهو بلفظ فصيح، فبذلك لا يكون بليغا، وتمييز الفصيح عن غير بعضه يُعرف بعلم اللّغة وعلم التّصريف وبعضه يّعرف من علم النّحو، وللابتعاد عن الخطأ في تأدية المعنى وُضع علم المعاني، وما يُحترز به عن التّعقيد المعنوي فسمّي بعلم البيان، وأمّا ما به تحسين الكلام لفظا وُضع له علم البديع.

فالبلاغة إذا اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، وهي ملكة يمكن بها تأليف كلام بليغ، والهدف من الكلام وصول ما يُكِنّه المتكلّم إلى قلب المخاطب، فإن تحقق ذلك استحقّ الكلام أن يُوصف بالبلاغة.

والقصد من وضع هذه الأبيات في تعريف البلاغة أن يُفهم القارئ المتعلّم مضمونها، انطلاقا من هذه المنظومة، فمن كثرة المعلومات وتنوّعها رتّبها السّيوطي ترتيبا محكما، وذلك باستخدام معاني دقيقة تحدّد دلالة معيّنة لتسهيل حفظ المعلومات وفهمها عند القارئ.

[1] السّيوطي، عقود الجمان، ص4-5.

[2] السّيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ص8.

المطلب الثّاني: أقسام البلاغة

يُقسّم علم البلاغة إلى ثلاثة أقسام رئيسيّة وهي: علم المعاني، علم البيان، وعلم البديع، وكلّ علم من هذه العلوم يُقسّم إلى فروع تشترك جميعها في وظيفة واحدة وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وفيما يلي سنقوم بتعريف هذه العلوم مع الإشارة إلى أهم فروعها.

1. علم المعاني

يعرف علم المعاني بأنّه العلم الذي يختص بدراسة المعنى واللّفظ في اللّغة العربيّة، فهو يعبّر عن الاستخدام الدائم للكلمات للدّلالة على موقف معيّن، فجاء تعريف السّيوطي لهذا العلم بقوله:

وحدّهُ علــمٌ به قـدْ تُعــرف ... أحوال اللّفظ عربيّ يؤلــف

مما بـها تطابــق لمقتضــى ... حال وحدى سالم ومرتضــى

يُحصر في أحوال الإسناد وفي ... أحوال مسـند إليه فاعــرف

ومسنـــد تعلّقــات الفعــل ... والقصر والإنشاء ثمّ الوصـل

والفصــل والإيجــاز والإطنــاب ... ونحـوه يأتيــك في أبواب[1]

فحدّ علم المعاني عنده، علم تُعرف به أحوال اللّفظ العربي التي تُطابق مقتضى الحال، حيث يشمل ما يتعلق باللّفظ وما يتعلق بالمعنى، فتّعرف به أحوال اللّفظ. «هذا العلم منحصر في ثمانية أبواب لأنّ الكلام إمّا ميز أو إنشاء لما سيأتي والخبر لابد له من إسناد ومسند إليه، فهذه ثلاثة أبواب، والمسند قد يكون له متعلّقات، إذا كان فعلا أو في معناه وهذا الباب الرّابع وكلّ من التّعلّق والإسناد قد يكون بقصر وقد لا يكون وهذا الباب الخامس والإنشاء هو الباب السّادس ثمّ الجملة إن قُرنت بأخرى فالثّانية إمّا معطوفة على الأولى أو لا وهما الفصل والوصل وهذا الباب السّابع ثم لفظ الكلام البليغ إمّا زائد عن أصل المراد بفائدة أو ناقص غير مُخل أو مساوٍ والأوّل الإطناب والثّاني الإيجاز والثّالث المساواة وهو الّمراد بقول ونحوه وهذا الباب

[1] السّيوطي، عقود الجمان، ص5.

الثّامن»[1]، فهنا حصر السّيوطي علم المعاني في ثمانية أبواب وذلك لأنّ الكلام قسمان: خبر وإنشاء، فالخبر لا بد له من إسناد ومسند إليه، والمسند إن كان فعلا أو شبيها بالفعل، ثم القصر والفصل والوصل، وهو كلام بليغ، إمّا أن تكون ألفاظه زائدة عن المعنى المقصود، وإمّا أن يكون ناقصا نقصا غير مُخل أو مساوٍ للفائدة المُرادة، والباب الثّامن الإطناب والإيجاز والمساواة.

وهذا ما يطابق مفهوم علم المعاني عند السّكاكي الذي عرّفه بقوله: «اعلم أنّ علم المعاني هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»[2]، وهنا يرى السّكاكي أنّ علم المعاني يختصّ بمعرفة كيفية بناء الجُمل والتّركيب بناء يتطابق مع مقتضى الحال.

كما قسّم السّكاكي علم المعاني على أنّه: «يدور على الجملة فيبحث ما فيها من حذف أو ذكر، وتقديم أو تأخير، وتنكير أو تعريف، والفرق بين الجملة الإسميّة والفعليّة، ولا يخرج إلى أكثر من الجملة إلا عند البحث في الفصل والوصل، والإيجاز والإطناب»[3].

جاء تقسيم السّيوطي لعلم المعاني مطابقا لتقسيم السّكاكي الذي كان سبّاقا له، وعليه فإنّ علم المعاني يتضمّن شيئين اثنين: الأوّل دراسة الكلمة المفردة في مختلف أحوالها، والثّاني مطابقة هذه الكلمة لمقتضى الحال. ولتسهيل دراسة مباحث هذا العلم ومعرفة ما يتضمّنه، قسّمه علماء البلاغة إلى ثمانية أبواب وهي: أحوال الإسناد الخبري، الإنشاء، أحوال المسند إليه، أحوال متعلّقات الفعل، القصر، الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة.

ونظرا لأهميّة علم المعاني الذي هو الأساس الأوّل في علوم البلاغة، وذلك لأنّه العلم الذي يُراد به بناء الجملة على نحو يؤدّي إلى تمام المعنى طِبقا لما يقتضيه الحال، فينبغي لمعلّمه أن يسلك طريقة جذّابة في تعليمه لترغيب الدّارسين في تعلّم هذا العلم، وهذا ما أجاده السّيوطي في منظومته.

---

[1] السّيوطي، شرح عقود الجمان، ص09.

[2] السّكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص161.

[3] المرجع نفسه ص205.

2. علم البيان

يختصّ علم البيان بمعرفة الطّرق المختلفة التي يمكن التّعبير بها عن المعنى الواحد بأكثر من صورة لفظيّة، وهذا ما سنوضحّه من خلال ما جاء في منظومة عقود الجمان للسّيوطي، وذلك في قوله:

علم البيان هو ما به عُــرف ... إيــراد معنى واحد بالمختلـف

من طرق في الاتّضاح مكمّله ... فاللّفظ إن دلّ على الموضوع له

فسمّــها دلالـــــة وضعيّــة ... أو جزئــه أو خــارج عقليـه

وإنّــما يختلف الإيـــراد في ... عقليّــة ولــيس في تلك يفــي

ومــا به أريــد لازم وقـــد ... قامت قرينــة على أن لم يــرد

مجـــاز وإلّا فكنايــة وقــد ... يُبنــى على التّشبيــه أول ورد[1]

يتّضح لنا من خلال هذه الأبيات أنّ علم البيان هو علم يُعرف به التّعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة بكلام يتطابق مع مقتضى الحال على وضوح الدّلالة عليه، ولذلك قسّم السّيوطي علم البيان إلى ثلاثة أبواب رئيسة هي: التّشبيه والمجاز والكناية، ويُقسّم المجاز إلى فروع مختلفة منها المجاز المرسل والمجاز العقلي، كما يُقسّم التّشبيه إلى أقسام مختلفة منها: التّشبيه التّمثيلي، أمّا الكناية فهي عدم التصريح؛ فنحن نقول شيئا دون أن نصرّح به.

وهذا ما جاء به الجاحظ في كتابه البيان والتّبيين بقوله: «هو الدّلالة الظّاهرة على المعنى الخفيّ، وهو اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضّمير؛ حتّى يُفضى السّامع إلى حقيقته، لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسّامع؛ إنّما هو الفهم والإفهام؛ فبأيّ شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[2].

[1] السّيوطي، عقود الجمان، ص 36.

[2] الجاحظ، البيان والتّبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخفاجي، القاهرة، مصر، ط1، 1985، 36/1.

وجاء في تعريف القزويني قوله: «علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدّلالة عليه»[1].

وعموما يتّضح ممّا سبق أنّ كلّ التّعريفات السّابقة تصبّ في مجرى واحد وهو العلم الذي يُمكّن الإنسان من إظهار المعنى الذي يريده في الجملة التي يقوم بتكوينها ولكن بالعديد من الطّرق.

ومن هنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الحافظ سلك طريق السّهولة والتّيسير باستخدام ألفاظ سهلة ومفهومة، ممّا يُسهّل على القارئ فهم واستيعاب المادّة العلميّة بكلّ بساطة وسهولة.

3. علم البديع

يعتبر علم البديع فرع من فروع علم البلاغة، وهو الجزء الذي يهتمّ بتحسين الكلام لفظيّا ومعنويّا، فهو الذي يعمل على توضيح وتزيين المعنى الصّحيح للكلمات المراد ذكرها في موضع معيّن أو جملة محدّدة، وهذا ما ورد عند السّيوطي في قوله:

علم البديع ما به قد عُــرف مطابقا وقصده جلي
وجوه تحسين الكلام إن وفى فمنه لفظي ومعنوي[2]

وضّح السّيوطي من خلال هذه الأبيات أنّ علم البديع علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد مراعاة مطابقته لمقتضى الحال، ومراعاة وضوح دلالته، قد قسّمه إلى قسمين: ما يتعلّق بتحسين الألفاظ وما يتعلّق بتحسين المعاني.

وفي نفس السّياق يقول عبد العزيز عتيق: «وعلم البديع هو العلم الذي يعرف به وجوه حسن الكلام؛ وذلك بعد رعاية المطابقة ووضوح الدّلالة، ويعرف بأنّه النّظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التّنميق من خلال تفصيله بالسّجع، أو استخدام الجناس، أو التّرصيع أو تورية المعنى أو الاستعانة بالطّباق...»[3].

ونفهم من خلال قوله أنّ علم البديع هو العلم الذي يجمع بين الألفاظ والمعاني وطريقة نطقها واختلافها في المعنى أو اتّفاقها فيه، ويشتمل على المحسّنات اللّفظية كالجناس والسّجع، والمحسّنات المعنويّة مثل التّورية والطّباق والمقابلة وحسن التّعليل والمبالغة.

---

[1] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 545.

[2] السّيوطي، عقود الجمان، ص 48

[3] عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان، د.ط، 1، 7/2009.

إنّ هذه الفروع الثّلاثة للبلاغة تتكامل مع بعضها البعض، فهي تكشف عن القيم الجماليّة في الكلام العربي الفصيح، فعلم المعاني يُعرف به أحوال اللّفظ العربي التي بها يُطابق مقتضى الحال، أمّا علم البيان فالمقصود به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدّلالة عليه، وأمّا علم البديع علم يعرف به تحسين وجود الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدّلالة، فبتكامل هذه العلوم نتذوّق اللّغة، ونُحسّ بجمالها ونتمتّع بقراءة كتبها، فالسّيوطي من خلال هذه المنظومة استطاع أن يجمع لنا جميع الفروع والمسائل التي تخصّ علم البلاغة، ممّا يسهّل على الباحث أو القارئ الاطّلاع على هذا العلم، وبذلك يساعدنا على توفير الوقت والجهد وذلك عن طريق جمعها في كتاب واحد.

المطلب الثّالث: علاقة البلاغة بالعلوم الأخرى

هناك علاقة قويّة بين البلاغة والعلوم الأخرى، وهذه العلاقة لا يمكن فصلها، فكلّ منها يكمّل الآخر، وسنوجز هذه العلاقات على النّحو التّالي:

1. **علاقة علم البلاغة بعلم النّحو**

يعتبر علم النّحو والبلاغة أساس اللّغة العربيّة لما يحتويان عليه من قواعد تقوم عليها اللّغة العربيّة، وعند دراستنا وتصفّحنا لبعض الكتب التي جمعت أهم ما يتعلق بالنّحو والبلاغة، وجدنا أن هناك علاقة وطيدة بين هذين العلمين، وهنا أشار سعد مصلوح إلى العلاقة بين النّحو والبلاغة فيذهب إلى أنّ: «علم الصّرف يطلب علم النّحو، والنّحو علم مداره على دراسة التّراكيب، وبهذا فإنّ علم النّحو يطلب علم المعاني، بحكم أنّ علم المعاني هو نوع من النّحو المقامي على مستوى الكلام الأدبي»[1]، ومن ثمّة فإنّ اتّصال النّحو بالبلاغة نتج عنه علم جديد سُمّي بعلم المعاني، فالنّحو وصف شكلي للّغة، أمّا البلاغة هي وصف لتصرّف المتكلّم في اللّغة. لذا نجد أنّ علماء البلاغة اهتمّوا بدراسة هذه العلاقة بينهما فتوصّلوا إلى نتيجة مفادها أنّ علم البلاغة وعلم النّحو مكمّلان لبعضهما البعض، وهذا التّكامل هو تكامل التّراكيب ومعانيها بحيث لا غنى لأحدهما عن الآخر.

[1] سعد مصلوح، مشكلة العلاقة بين البلاغة العربيّة واللّسانيات الأسلوبيّة، النّادي الأدبي الثّقافي، السعوديّة، جدّة، المجلد العاشر، 1988، ص 846.

2. علاقة علم البلاغة بعلم الصّرف

علم الصّرف هو العلم الذي يهتمّ كلّ الاهتمام ببنية الكلمة وما تحمله من دلالات، وإذا تصفّحنا الأبواب الصّرفيّة نجد أنّه هناك علاقة بينه وبين البلاغة، فنرى أنّ علم الصّرف «يشارك علم البلاغة في باب "أحوال المسند إليه" من حيث التّعريف والتّنكير، وأغراض ذلك بلاغيّا. ونجده يشارك بباب "أبنية الفعل الزّوائد" [...] ولا تقتصر مشاركات "علم الصّرف" المبنية على "علم الأصوات" على النّحو والمعاني بل تذهب إلى "القافية"؛ حيث يُسهم "المقطع الصّوتي" وأنواعه في فهم واستيعاب هذا العلم، سواء في تحديد حروف القافية أو عيوبها»[1]. فكلّما حملت في طيّاتها معاني جليلة دون الحاجة لجملة كاملة لنفهم المعنى فبنية الكلمة تدفع لفهم المعاني الجليلة وحدّها بل تكون مؤثّرة كلّ التّأثير في ذهن السّامع ووجدانه.

ونستنتج ممّا سبق أنّه يوجد تداخل بين كلّ من الصّرف والبلاغة، وعلى ذلك نستطيع القول أن علم البلاغة يدرس جمال معاني الألفاظ، وأمّا علم الصّرف يدرس بنية الكلمة، فالصّرف إذا يعد مقدّمة ضروريّة لدراسة البلاغة، وكلاهما يكمّل مهمة الآخر.

3. علاقة البلاغة بالشّعر

علم البلاغة من أجلّ العلوم شأنا وأبينُها تِبيانا، فهو وثيق الصّلة بالشّعر، وذلك لما جاء في كتاب علوم البلاغة قول محمّد أحمد قاسم أنّ البلاغة: «وجّه الدّارسين شطر دواوين الشّعراء لدراسة ما فيها من بيان ساطع وقدرة على التّخييل تسعف على ابتكار تشابيه جديدة وتفنن في ضروب الاستعارة والمجاز، وراحوا يتقصّون ما في دواوين هؤلاء من طباق وجناس وترصيع باحثين عن عناصر الصّورة الشّعريّة واللّغة الشّعريّة المميّزة»[2]. فالقول السّابق يكشف لنا أنّ البلاغة ساعدت الدّارسين والشعراء على ابتكار تشابيه جديدة، كما ساعدتهم على التّفنن في الكلام عن طريق المجاز والاستعارة للبحث عن لغة شعريّة مميّزة.

---

[1] فريد البيدق، اللّغة العربية تداخل علوم للجمال، المجلّة العربية، 28 ديسمبر 2007، ص5.

[2] أحمد محمّد قاسم، علوم البلاغة (البديع، البيان، المعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003، ص23.

إن هذا التّداخل الذي بين هذه العلوم (النّحو، الصّرف، الشّعر) تؤدي إلى الجمال الذي يعني الانسجام والتناغم فيما بينها التي تندرج تحت ما يسمى بالبلاغة التي تحتوي جمالا من كل علوم اللّغة العربيّة كلٌ حسب طبيعته.

المبحث الثّالث: المتعلّم/ القارئ

تتضمّن العمليّة التّعليمية مجموعة من العناصر التي تقوم بينها علاقات تفاعلية، ومن أهم هذه العناصر المتعلّم، الذي يعتبر المحور الرّئيس لتأدية العمليّة أيّ التّعليم والتّعلّم معا، فالمتعلّم الذي سنقوم بدراسته في هذه المنظومة هو نفسه القارئ.

يعدّ المتعلّم ركنا أساسا ثانيا في العمليّة التّعليمية إلى جانب المعلّم، فالمتعلّم هو: «الشّخص الذي يمتلك قدرات وعادات واهتمامات، فهو مهيّأ سلفا للانتباه والاستيعاب. أمّا دور المعلّم بالدّرجة الأولى هو أن يحرص كلّ الحرص على التّدعيم المستمرّ لاهتماماته وتعزيزها ليتمّ تقدّمه وارتقاؤه الطّبيعي الذي يقتضيه استعداده للمتعلّم»[1]، وعليه يمكن القول أنّ المتعلّم هو محور العمليّة التّعليميّة التي تتوجّه عليه عمليّة التّعليم.

في حين يعدّ القارئ ركيزة أساسيّة باعتباره العنصر الفعّال في العمليّة الإبداعيّة فمن، دون القارئ يصبح النّص شكلا جامدا لا حياة فيه. فالقارئ هو: « يشكّل القارئ محور اهتمام نظريّة التّلقي، وعنصرا أساسيًّا في تصوّرها للأدب وتلقّيه، بل إنّه الخلفيّة التي تؤسّس عليها تعريفها للمفاهيم الأخرى التي تشتغل بها، ولذلك اهتمّت "بالقارئ" اهتماما كبيرا؛ من حيث طبيعته وأنواعه وشروطه وأهمّيته، وعليه تأسّس منهجها في دراسة النّص الأدبي ومفهومه، فهو جوهر العمل الأدبي ومعناه لا ينتميان إلى النّص، بل إلى العمليّة التي تتفاعل فيها الوحدات البنائيّة النّصيّة مع تصوّر القارئ، وفي أثناء هذه العمليّة يناط بالقارئ القيام بمهمّة إنشاء عمل فنّي متفرّد لم يكن قد تشكّل بعد»[2]. فالقارئ إذا هو المحور الأساسي الذي يبني عليه الكاتب أو

[1] أحمد حساني، دراسات في اللّسانيّات التّطبيقيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، ط2، 1996، ص 142.

[2] روبرت هولب، نظريّة التّلقّي، تر: عز الدّين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص 378.

المؤلّف نصّه، إذ يقوم هو الآخر بممارسة السّلطة على النّص حتّى يستطيع أن يدخل إلى عالمه ويشارك في تكملة ما هو غائب في النّص.

وانطلاقا من هذا تجدر بنا الإشارة إلى ما جاء في المنظومة حول المتعلّم الذي يُعدّ نفسه القارئ. وعلى هذا الأساس سنحاول تحديد مستويات القرّاء والمتعلّمين الذين من أجلهم نظم السّيوطي هذه المنظومة، كما سنخصّص لكلّ مستوى من هذه المستويات مطلبا خاصّا بهم.

المطلب الأوّل: تلاميذ السّيوطي

تلقّى السّيوطي العلم على أيدي الكثير من العلماء والشّيوخ، كما تلقّى عنه العديد من التّلاميذ العلم وساروا على منهاجه ودربه، وسنذكر فيما يلي أهمّهم وأشهرهم:

1. إبراهيم بن عبد الرّحمان بن علي العلقمي القاهري الشّافعي، «قرأ الحديث والفقه والسّيرة والنّحو، وأخذ عن أخيه والشّهاب الفتُّوحي والشّهاب البُلقيني، والمحيوي يحيى الوفائي، والمحدث أحمد بن عبد الحق، روى عن السّيوطي بالإجازة العامّة»[1].

2. أحمد بن علي بن زكريا، شهاب الدّين الجُديدي البدراني الشّافعي: «ولد سنة 819هـ، وحفظ القرآن الكريم عند والده و" المنهاج" و"الأجرومية"، وبعض "ألفية بن مالك"، وأخذ عن غيره كالعَلم البُلقيني، والقاياتي، والجمال الكازروني، وغيرهم، وقُصد بالفتاوى، واشتغل بالتّصنيف قليلا فشرع في "مقدّمة الحناوي على النّحو"، وعمل على "الأجرومية" شرحا مطولا ومختصرا، سمع من السّيوطي "عشارياته" والجزء الأوّل من "نور الحديقة"، مات ببلدته دمياط سنة 888هـ»[2]

3. أحمد بن تاني بك، الشهاب بن أبي الأمير الإياسي الحنفي ثم الشّافعي، «ولد سنة 963هـ؛ نعته السّيوطي ب" المحدّث البارع، الفاضل الصّالح"، وهو الذي طلب من السّيوطي إعادة مجلس الإملاء، فأعاده سنة 888هـ، وكان أخذ العلم عن الحافظ الديمي ثمّ السّخاوي قبل خروجه إلى الحج»[3]

[1] ابن عماد الحنبلي، شذرات الذّهب، 636/10.

[2] السّيوطي، التّحدّث بنعمة الله، ص83.

[3] عبد الرّحمن السّخاوي، الضوء اللامع، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص266.

4. حمزة بن عبد الله بن محمّد النّاشري اليمني الشّافعي، المتوفّى سنة 926هـ، أخذ الفقه والحديث، وروى عن صاحب "القاموس"، وأجازه شيخ الإسلام الشّيخ زكريا الأنصاري، وابن حجر العقلاني، والجوجري، والسّيوطي، وابن أبي شريف، وغيرهم. المشتهر باللّطافة والعلم. له مصنّفات حسنة غريبة منها "الأربعون التهليلية"، و"مسالك التحبير من مسائل التّكبير"...»[1].

5. زكريا زين الدّين المصري الشّافعي، وهو غير شيخ الإسلام القاضي زكريا؛ كان قاضيا بمصر العتيقة؛ يملك" دعوى صحب الشّيخ جلال الدّين السيوطي، والشّيخ نور الدين الأشموني، ولم يحمد العلائي سيرته، وذكر أنّه توفّي في سادس جمادى الأولى سنة 929هـ رحمه الله تعالى»[2].

فهذه بعض أعلام الذين درسوا على يدّ السّيوطي، وتأثروا به، فقد قال في مقدّمة منظومته التي خصّصناها للدّراسة، أنّه جمع هذه المتون لطلبته ويظهر ذلك من خلال قوله: «فقد طلب مني بعض طلبة العلم ممن علت هممهم لحفظ متون الفنون أن أجمع لهم متن "عقود الجمان في علم المعاني والبيان" ليسهل عليهم الحفظ»[3].

المطلب الثّاني: عموم القُرّاء في زمنه

يعدّ السّيوطي علَما من أبرز أعلام عصره؛ فهو من أكثرهم تأليفا ونشاطا علميّا، ولذلك كان محطّ أنظار علماء عصره، سواء كانوا مؤيّدين له أو معارضين، «لذلك لحقه أذى وضرر وحسد، حتّى خصّص بابا في ذلك في ترجمته من كتاب " التّحدّث بنعمة الله"، فيقول ذكر نعمة الله عليّ في أن أقام لي عدوّا يؤذيني، وابتلاني بأبي جهل يغمصني كما كان للسّلف مثلُ ذلك»[4]، فقد بيّن لنا من خلال قوله أن له خلافات مع أعلام عصره ومن أسبابها: «فتاوى صدرت عن السّيوطي، ومنها ادّعاؤه الاجتهاد، فضلا عن الحسد من الشّهرة وكثرة المؤلّفات؛ حتّى انقسم العصر إلى معسكرين أحدهما يقوده السّيوطي، ومن أنصاره الفخر الدّيني، وأمين الدّين الأقصرائي، وزين الدّين قاسم الحنفي، وسراج الدّين العبادي، وغيرهم.

---

[1] ابن عماد الحنبلي، شذرات الذّهب، 198/10.

[2] نجم الدّين محمّد الغزّي، الكواكب السائرة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1998، 208/1.

[3] السّيوطي، عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ص2.

[4] السّيوطي، التّحدّث بنعمة الله، ص 160.

والمعسكر الآخر يقوده السخاوي ومن أنصاره برهان الدّين ابن الكركي إمام السّلطان، والشّمس الجوجري المناوي، والقسطلاني، وشمس الدّين الباني»[1]، وسنورد مثالا عن خلافاته مع المناوي فقد وقع بينه وبين السّيوطي خلاف في عدد من المسائل، وقد بيّنها الجلال في كتابه التّحدّث بنعمة الله: «وعُدّ منها ستّ عشرة مسألة، ألّف في كلّ منها جزء، . كما صنّف فيه كتاب" اللّفظ الجوهري في ردّ خباط الجوجري"»[2] فجاء قول المناوي عن تأليف السّيوطي للحديث النّبوي الشّريف: «أنّه كان ينبغي له أي المؤلف أن يعقب كل حديث بالإشارة بحاله بلفظ صحيح أو حسن أو ضعيف في كلّ حديث فلو فعل ذلك كان أنفع وأصنع ولم يزد الكتاب به إلا وريقات لا يطول بها وأمّا ما يوجد في بعض النّسخ من الرّمز إلى الصّحيح والحسن والضّعيف بصورة رأس صاد وحاء وضاد فلا ينبغي الوثوق به لغلبة تحريف النسّاخ على أنّه وقع له ذلك في بعض دون بعض، كما رأيته بخطّه فكان المتعين ذكر كتابة صحيح أو حسن أو ضعيف في كلّ حديث»[3]، فيقصد المناوي أنّه يجب على السّيوطي أن يشير بعد كل حديث أنّه حسن أو ضعيف أو صحيح.

فنجد السّيوطي يردّ على خُصومه بقوله: «إنّي إذا تكلّمت في ردٍّ على أحد أتكلّم بعلم، وأنطِق بحلم، وأبالغ في حفظ اللّسان، وأقتفي بآثار السّلف بإحسان، ما عودت لساني قط بسفه ولا اغتياب، ولا تلفظت بكلمة يُخشى عليها سوء الحساب؛ وأقف عند الحقّ ولا أجانب،

[...] وقد علم الله والنّاس من عادتي في التّأليف أنّي لا أنقل حرفا من كتاب أحد إلا مقرونا بعزوه إلى قائله، ونسبته إلى ناقله، أداء لشكر نعمته، وبراءة من دَرَكِه وعهدته»[4]، فالسّيوطي من خلال قوله يُبرّأ نفسه أمام الله والنّاس بأنّه إذا نقل حرفا كتاب أي أحد إلا ونسبه إلى ناقله.

كما كتب ضدّ السّخاوي الذي يعتبر من أبرز خصوم السّيوطي كتابا أسماه "الكاوي في تاريخ السخاوي" « ردّ فيه على ما أورده السّخاوي في كتابه "الضّوء اللامع لأهل القرن التّاسع"، وأمّا ابن الكركي فصنّف ردّا فيه أسماه "الدوران الفلكي على ابن الكركي"، دافع فيه السّيوطي عن موقفه من ادّعائه الاجتهاد وبعض الفتاوى، كما دافع عن رأيه في خصيمه السخاوي

[1] التّحدّث بنعمة الله، السّيوطي، ص163.
[2] السّيوطي، التّحدّث بنعمة الله، ص186.
[3] إياد خالد الطّباع، الإمام جلال الدّين السّيوطي معلمة العلوم الإسلاميّة، ص89.
[4] المرجع السّابق، ص198.

والجوجري، مبيّنا السبب الذي تحامل فيه عليهما»[1]، فمن الطّبيعي أن يكون للسّيوطي خصوم، وذلك راجع إلى مكانته العلميّة الرّاقية، وتلك المكانة سبّبت له بعض العداوات والتّنافس بين علماء عصره.

المطلب الثّالث: القرّاء من كلّ زمن

كان للإمام جلال الدّين السّيوطي أثرا بارزا في الحركة العلميّة، وهذا ما جعلنا نتطرّق إلى معرفة مدى تأثيره على العلماء والقرّاء من كلّ زمن، فقد وردت عدّة دراسات عن سيرته العلميّة، فذكر ابن إياس في تاريخه: «أن مؤلفات السّيوطي تبلغ نحوا من ستمائة مؤلف، وأكبر الظّن أن هناك أسبابا يسّرت له ذلك، فقد انصرف إلى الاشتغال بالتّصنيف منذ بدء حياته، كما زاد تجرّده للتأليف في أواخر عمره، فاعتزل النّاس، وترك التّدريس والإفتاء، وشرع في تحرير مؤلّفاته»[2]، فنظرا لأهميّة مؤلّفاته وكثرتها، فقد اهتم ابن إياس (1448م) في البحث عن أسباب كثرة هذه المصنّفات وتعدّدها في جميع العلوم وهذا راجع إلى اشتغاله بالتّأليف منذ بداية حياته.

كما قال عنه الشّوكاني(1173م): «برز في جميع الفنون، وفاق الأقران، واشتهر ذكره، وبعد صيته، وصنّف التّصانيف المفيدة [...] وتصانيفه في كلّ فن من الفنون مقبولة قد سارت في الأقطار مسير النّهار»[3]

وذكر سريكس (1869م) أنّه طبع للمؤلف اثنان وتسعون كتابا. وطبعت رسالة في الهند للسيوطي في " أسماء مؤلفاته"، (ويوم ألّف كتابه حسن المحاضرة وفي هذا الكتاب) فهي تزيد على خمسة وثلاثين كتابا عدا كتبه في الفنون والعلوم الأخرى من الأدب وفن التّفسير والقراءات والحديث الذي يستغرق الكثير، والفقه ومتعلقاته، غير أنّه زاد في كتبه التّاريخيّة حتى وفاته، فعدّة كتبه في التّاريخ ومتعلقاته تزيد على مائة مؤلف...»[4].

[1] المرجع السّابق، ص82 -83.
[2] ابن إياس الحنفي، بدائع الزّهور في وقائع الدّهور، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، 1982، 289/1.
[3] محمد بن علي الشّوكاني، البدر الطّالع في محاسن من بعد القرن التّاسع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، ط1، ص485.
[4] إيليام سريكس، معجم المطبوعات العربيّة، الدّار القومية للطّباعة والنّشر، القاهرة، مصر، د.ط، 1928، ص259.

فهذه دراسة موجزة خصّصناها بذكر بعض الأقوال لعلماء جاءوا بعد السّيوطي من مختلف العصور، وسبب هذه الدّراسة راجع لكثرة مؤلّفاته ما جعلهم يريدون الاطّلاع عليها لمعرفة مضامينها وكذلك لكشف أهم الأسباب التي أدّت إلى تميّزه بكتاباته المتنوّعة في جميع المجالات والعلوم، حتّى فاق جميع أقرانه من عصره إلى يومنا هذا.

ونرى أنّ السّيوطي قد نظم هذه المنظومة المُعنونة بـ: عقود الجُمان في علم المعاني والبيان للدّارسين والقرّاء والمتعلّمين، وهذا ما أظهره بقوله في خاتمة منظومته:

زففتها لمن نهاه راجح ومهرها منه الدّعاء الصّالح[1]

[1] السّيوطي، عقود الجمان، ص66.

الفصل الثاني:

مقومات النقل التعليمي

تمهيد: في مفهوم النّقل الديداكتيكي

يعدّ الديداكتيك جوهر العمليّة التّعليميّة، بحيث يتضمّن التّرابط بين مكوّنات العملية التّعليميّة، والمشكّلة من عناصر المثلّث الديداكتيكي (المعلّم، المتعلّم، المعرفة) عبر التّفاعل القائم فيما بينها، ومن ذلك سنوضّح مفهوم النّقل الدّيداكتيكي.

مصطلح النّقل الديداكتيكي مركّب من كلمتين (نقل، ديداكتيك)، ومن هنا وجب علينا التّطرق لتعريف موجز لهذين اللّفظين.

فكلمة نقل جاءت في معجم مقاييس اللّغة العربيّة: «النّون والقاف واللّام أصل صحيح يدلّ على تحويل شيء من مكان إلى مكان»[1].

أمّا الدّيداكتيك فقد جاء في كتاب المنهل التّربوي أنّ له معنيين اثنين:

«**المعنى الأوّل:** استعمال طرق وتقنيات التّدريس الخاصّة بكلّ مادّة دراسيّة، وهذا المعنى عامّ ومشترك.

المعنى الثّاني: دراسة التّفاعلات التي يمكن أن تُقام داخل وضعيّة تعليميّة تعلُّميّة بين دراية محدّدة ومُدرّس ممتلك لهذه الدّراية وبين تلميذ مُتقبّل لهذه الدّراية»[2].

والدّيداكتيك بصفة عامّة هو أسلوب أو طريق أو نهج معيّن لتحليل ظاهرة معيّنة.

وأمّا النّقل الدّيداكتيكي فله أهمّية كبيرة في تعليم العلوم تحديدا، وقد عرّفه لورس كورنو وآلان فرينو بأنّه: «ذلك العمل الخاص بتكييف وتحويل المعرفة العالمة إلى موضوع التّدريس، وذلك حسب المكان والجمهور المُتلقّي والغايات والأهداف التي تمّ تحديدها»[3].

وبناءا على ما سبق نخلص إلى أنّ مفهوم النّقل الدّيداكتيتي يُفيد تحويل المعرفة من فضائها العلمي إلى فضاء الممارسة التّربويّة من أجل أن تتناسب مع خصوصيّات المتعلّمين، وبمعنى آخر أنّ المعلّم يُحضر المعرفة بطريقة صحيحة ثمّ يقوم بتبسيطها قصد تسهيل توصيل المعلومة، ويعتمد في ذلك على عدّة وسائل منها: التّعريف والتّمثيل وأسلوب الخطاب.

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، اتّحاد كتاب العرب، القيروان، تونس، ط1، 2002، 371/5.

[2] عبد الكريم غريب، المنهل التّربوي، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، 263/1.

[3] لورنس كورنو وآلان فرينو، الخطاب الدّيداكتيكي أسئلته ورهاناته، تر: عبد اللّطيف المودني، تق: عبد الكريم غريب، مطبعة النّجاح، الدّار البيضاء، المغرب، ط5، 2006، ص 7.

المبحث الأوّل: التّعريف

تختلف الوسائل التّعليميّة التي يستخدمها كلّ معلّم لتحسين عمليّة التّعلّم والتّعليم، وتوضيح المعاني والأفكار، ومن أهم هذه الوسائل التّعريف.

1. التّعريف لغة

يرجع مصطلح التّعريف عند اللّغويين إلى الجذر اللّغوي (عَ رَ فَ)، وجاء في مقاييس اللّغة لابن فارس: «العين والرّاء والفاء أصلان صحيحان يدلّ أحدهما على تتابع الشّيء مُتّصلا بعضه ببعض، والآخر على السّكون والطّمأنينة، فالأوّل العرُف: عرفُ الفرس، وسُمّي بذلك لتتابع الشّعر عليه، والأصل لآخر المعرفة والعرفان، نقول عرف فلان فلانا ومعرفة وهذا أمر معروف، وهذا يدلّ على ما قلنا من سكونه إليه، لأنّ من أنكر شيئا توحّش منه ونبا عنه»[1].

ومن خلال هذا التّعريف نجد أنّ التّعريف يرتبط بالمعرفة والعلم، ومنه فمعرفة الشّيء تدعو إلى السّكينة والطّمأنينة والاستمرار.

2. التّعريف اصطلاحا

تعدّدت تعريفات مصطلح التّعريف واختلفت من باحث لآخر وفيما يلي تعريف الجرجاني للتّعريف: «عبارة عن ذكر شيء نستلزم معرفته بشيء آخر»[2].

أمّا علي القاسمي فقد عرّف مصطلح التّعريف بقوله: «وهو التّعريف الذي يعتمده علم المصطلح الحديث، ويتوخّى تعريف المفهوم وليس الكلمة أو الشّيء، والمفهوم تصوّر أو فكرة يُعبّر عنه بمصطلح أو رمز، ويتكوّن هذا التّصوّر من الخصائص المنطقية والوجوديّة المتعلّق بشيء أو بمجموعة من الأشياء ذات الخصائص المشتركة»[3].

ومن هنا يتبيّن لنا أنّ "التّعريف" هو العلم والمعرفة التي من خلالها تتمّ عمليّة التّواصل المعرفي والفكري، فهو الطّريقة التي يستعملها المعلّم أثناء العمليّة التّعليمية ليتمكّن من أداء

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللّغة، 275/4.

[2] الجرجاني، التّعريفات، مؤسّسة الحُسنى، أغادير، المغرب، ط1، 2004، ص 59.

[3] أمينة مصطفاي، التّعريف بالمعاجم المختصّة الحديثة، (بين الواقع والمأمول)، مجلّة المعارف، المجلد 1، العدد: 15 جوان 2014، ص 264.

رسالته بالشّكل المطلوب، وذلك بتقديم المعرفة للمتلقي، كما تتجلّى أهمّيته في العمليّة التّعليميّة بتبسيط المفاهيم في تحديد الموضوعات في أبسط صورة، ويُساهم في وضوح الرّؤية لدى المتعلّم وشرح معانيه المُبهمة.

واعتمد السّيوطي على التّعريف فأغلب ما جاء في المنظومة تعريفات، ولقد استعمل في هذا عدّة آليّات مختلفة سنحاول أن نذكر أهمّها:

المطلب الأوّل: التّعريف بالتّحليل

التّحليل عملية تقسيم الموضوع إلى أجزاء صغيرة من أجل الحصول على فهم واستيعاب أفضل لهذا الموضوع أو المادّة. فهو مصطلح فلسفيٌّ والمُراد منه «التّوضيح عن طريق إبراز ما هو مُتضمّن من عناصر بسيطة في الموضوع، والتي تكون غامضة بسبب طريقة تركيبها، ومن حيث المنهج نلاحظ أنّ التّحليل لا يستخدم لغة الحياة اليوميّة إلّا ما هو دقيق منها، والدّقة لا يمكن تحصيلها إلّا باستخدام لغة متخصّصة ولا بدّ من توافر شرطين في التّحليل. الأوّل: أن تكون العناصر التي ينتهي إليها التّحليل مساوية للعبارة المُحلّلة. والشّرط الثّاني: أن تراعى البساطة والدّقة في التّحليل من حيث الضّرورة التي تفرضها طبيعة الموضوع، والموضوع المزمع تحليله، ليس شرطا أن يكون قضيّة منطقيّة أو رياضيّة، بل تتّسع دائرته لتشمل كل مواضيع العلم والحياة السوسيولوجية والسيكولوجيّة، بغضّ النّظر عن موضوع التّحليل ومادتّه»[1]. فالتّحليل هو تفكيك موضوع مركّب إلى عناصر بسيطة باستعمال لغة دقيقة متخصّصة، بشرط أن العبارة المحلّلة في نفس الموضوع، مع مراعاة الدّقة والموضوعيّة، نجده في عدّة قضايا منها المنطق والرّياضيات والفيزياء...

ومثلا في درسنا اللّغوي نجد تمّام حسّان أوّل من استخدم هذا المصطلح، «إذ يرد عنده مرات عديدة، في غير سيّاق، ويطلقه على الدّراسة التي تتناول النّظام التّركيبي قديمة أو حديثة، كما يظهر من استخدامه أنّه يريد به تجزئة النّظام التّركيبي أو تفكيكه، لمعرفة عناصره التي يتشكّل منها»[2]، نلاحظ أن التحليل هو تجزئة الشيء إلى مكوناته الأساسيّة وعناصره التي يتركّب منها. وذلك ببيان العناصر التي يتألّف منها المفهوم لكي يتمكّن المتلقي أو المتعلّم إدراك ماهيّة هذا الشّيء.

[1] ناصر هاشم، الفلسفة التّحليليّة في القرن العشرين، مجلّة أوراق فلسفيّة، القاهرة، مصر، العدد 61، ص 5.

[2] تمّام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1994، ص26.

وقد وظّف السّيوطي في منظومته عدّة تعريفات، وسنقوم بذكر بعض الأمثلة في التّحليل، فجاء في تعريفه للتّشبيه قوله:

هو الدّلالة على اشتراك أمر لآخر بمعنى زاكـي
لا كاستعارة بتحقيقٍ ولا كناية ولا كتجريد خـــلا
فدخــل الذي أداته فقــد كقوله صم ونحو ذا أسد
أركانــه أربعـــة أداتــه ووجهه والطّـرفان ذاتــه[1]

أراد السّيوطي أن يُعرّف التّشبيه من خلال ذكر عناصره الأساسيّة التي يتكوّن منها، فحلّل مفهومه على أنّه يتكوّن من مشبّه ومشبه به ووجه شبه بينهما ودلّ عليه بأنّه الدّلالة على اشتراك أمر لآخر بمعنى؛ أي الاشتراك في الدّلالة بين طرفين أو شيئين يشتركان في صفة واحدة وهذه الصّفة هي وجه الشّبه، فلا هو استعارة ولا هو كناية، تربط بينهم أداة تشبيه.

وفيما يلي سنقوم بتعريف أركان التّشبيه الأربعة التي أشار إليها السّيوطي وهي:

أ. المشبّه: عُرّف على أنّه: «الأمر الذي يراد إلحاق غيره»[2].

ب. المشبّه به: وهو «الأمر الذي يراد إلحاق غيره به، ويسمّى كلّ من المشبّه والمشبّه به بطرفيّ التّشبيه وهما ركنان لا يمكن الاستغناء عن كل واحد منهما فإذا حُذف إحداهما خرج الكلام عن كونه تشبيها وأصبح من باب الاستعارة»[3].

ت. أداة التّشبيه: وهي «كل لفظ دلّ على المشابهة وهي إمّا حرفا كالكاف وكأنّ وإمّا فعلا نحو شابه وماثل، ويشابهه، وإمّا اسم نحو شُبّه ومثّل»[4].

ث. وجه الشّبه: «وهو ما لوحظ عند تشبيه المشبّه والمشبّه به في الاتّصاف به، من صفة أو أكثر، ولو لم يتساويا في المقدار، ولو كانت ملاحظة الاشتراك خالية غير حقيقيّة كتشبيه رأس الإنسان برأس غول، وتشبيه السّاحرة بأنّ وجهها كوجه الشّيطان»[5].

---

[1] السّيوطي، عقود الجمان، ص36.

[2] بسيوني عبد الفتّاح، دراسة تحليليّة علم البيان، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1998، ص 20.

[3] فضل حسن عبّاس، البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، دار الفرقان، جامعة اليرموك، ط1، 2005، ص 27.

[4] عبد الفتّاح محمّد سلامة، نظرات تطبيقيّة في علم البيان، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1995،1، ص 24.

[5] أيمن امين عبد الغني، الكافي في علوم البلاغة والبيان والبديع والمعاني، دار التّوفيقيّة، القاهرة، مصر، 2011، ص 42.

إذا للتّشبيه أربعة أركان وهي: المشبّه والمشبّه به وأداة التّشبيه ووجه الشّبه، ويسمّى المشبّه والمشبّه به طرفا التّشبيه الأساسيّين؛ لأنّه لا يجوز حذفهما أو حذف أحدهما من التّشبيه، أمّا الأداة والوجه فمن الممكن حذفهما أو حذف أحدهما. وهذا ما جاء في تعريف علي الكاعوب للتّشبيه بقوله: «هو الدّلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بإحدى أدوات التّشبيه لفظًا وتقديرا، لغرض يقصده المتكلّم»[1].

والخلاصة في تعريف التّشبيه، أن نقول هو بيان مشاركة أمر لآخر في معنى أو أكثر وإن اختلفا في أمور أخرى وهو ربط بين شيئين أو أكثر في صفة من الصفات.

وكذلك ورد التّحليل في قوله:

منه الطّباق بالتّضاد مائـــل الجمــع بين اثنين ذي تقــابل
في جملة من نوع أو نوعيـن اسمين أو فعــلين أو حرفيــن
كمـــــثل أيقاظا وهــم رقود يحـــــيي ويميت ولــه تعديــد
طباق منفى طباق موجـــب كاخش ولا تخشى وذي تسبب
قلت وقيل الشرط في الطّباق أن يأتـــي اللّــفظان بالوفاق[2]

استعمل السّيوطي التّحليل في تعريفه للطّباق وقال عنه أنّه الجمع بين متضادّين في جملة من نوع أو نوعين فقد يكون بين اسمين أو فعلين أو حرفين فالاسمين كمثل أيقاظا ورقود، والفعلين مثل يُحيي ويُميت وقد يكون طباق إيجاب أو طباق سلب شرط أن يكون اللّفظان متوافقان، فالطّباق عنده إذا الجمع بين المعنيين المتضادّين في الجملة، ويكون ذلك إمّا بين اسمين أو فعلين أو حرفين، وهذا ما جاء عند الرّازي في تعريفه للطّباق: «هو الجمع بين المتضادّين في الكلام مع مراعاة التّقابل حتى لا يضم الاسم إلى الفعل»[3].

[1] علي الكاعوب، المفضّل في علوم البلاغة، دار القلم للنّشر، الإمارات، دبي، ط1، 1996، ص355.
[2] السّيوطي، عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ص 48.
[3] فخر الدّين الرّازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص285.

المطلب الثّاني: التّعريف بالمقارنة

تعد المقارنة أسلوبا من الأساليب التي تقوم على ربط موضوع بآخر برابط واحد، لاستخلاص أوجه الشّبه والاختلاف بينهما. وسنقوم بذكر مثالا من خلال ما جاء في المنظومة، فجاء في تعريف السّيوطي للفصاحة قوله:

يوصفُ بالفصاحة المُركّب ومفـرد ومنشئ مرتّـب

وغير ثان صفة بالبلاغـة ومثلها في ذلك البراعة[1]

استعمل السّيوطي في هذين البيتين في تعريفه للفصاحة المقارنة بينها وبين البلاغة والبراعة، وقد جاء في شرحه: «الفصاحة تكون صفة للمتكلّم فيقال متكلّم فصيح وهو المراد بقولي منشئ، وهو اسم فاعل من الإنشاء، وللمفرد فيقال كلمة فصيحة، وللمركّب. فيقال كلام فصيح وتركيب فصيح والمركّب يعم الكلام والجملة التي ليست بكلام كجملة الصّلة والجزاء والتّركيب الإضافي وكل ذلك يُوصف بالفصاحة، والبراعة مثل البلاغة فيُقال متكلّم بارع وكلام بارع ولا يُقال كلمة بارعة»[2]، فتطلق الفصاحة على معان كثيرة منها: البيان والظّهور، والمركّب يختصّ بالكلام والجملة، فالبلاغة لا يُوصف بها المفرد، والبراعة مثل البلاغة، فيقال كلام بارع ومتكلّم بارع وكلام بارع ولا يقال كلمة بريعة. فقد قارن السّيوطي بين الفصاحة والبلاغة والبراعة للتّرابط الموجود بينهما: « وقد أفرد عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" فصلا عن مفهوم البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة بالقول لا معنى لهذه العبارات، وسائر ما يجري مجراها ممّا يُفرد فيه اللّفظ بالنّعت والصّفة، ويُنسب فيه الفضل والمزيّة إليه دون المعنى غيرُ وصف الكلام بحسن الدّلالة، وتمامها في ما لو كانت دلالة ثمّ تبرُّجها في صورة هي أبهى وأزين، وأحقّ بأن تستولي على هوى النّفس، وتنال الحظّ الأوفر من ميل القلوب[...] ولا جهة لاستعمال هذه الخِصال سوى أن يؤتى المعنى من الجهة التي أصحّ لتأديته، ويُختار له اللّفظ الذي هو أخصّ

[1] السّيوطي، عقود الجمان، ص3.

[2] السّيوطي، شرح عقود الجمان، ص4.

به»[1]. فهنا نرى أن الفصاحة والبلاغة والبراعة ألفاظ مترادفة، لا تتّصف بها المفردات، وإنّما يوصف بها الكلام.

ومن أمثلة المقارنة قو السّيوطي:

فالمتوازي ضـدّه مرصَــع أو خصّ بالعجُزين فالمصرّع

إن تكن قد ساوت المقارنة في الوزن لا تقفيــة موازنــة[2]

قبل الشّروع في شرح هذان البيتان، وجب علينا التّطرّق إلى مفهوم كلٌّ من المتوازي والمرصّع والمصرّع:

1. **السّجع المتوازي:** وهو «أن تتّفق اللّفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والرّوي»[3]، ومن الأمثلة عليه هذا المثل: «إذا تكلّمت بليل فاخفض، وإذا تكلّمت بنهار فانفض»[4]، أي أن السّجع المتوازي هو ما اتفقت فيه الفقرتان في آخر كلمتين فقط.
2. **السّجع المُرصّع:** «وهو مقابلة كلّ لفظة بلفظة على وزنها ورويّها»[5]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار: 13-14]، فهو الذي تكون فيه الألفاظ في فقرتين أو أكثر على توافق في الوزن والعروض والقافية.
3. **السّجع المصرّع:** فقد عرّفه السّيوطي في كتاب شرح عقود الجمان بقوله: «وهو من زيادة، وذكره في الإيضاح وهو توافق آخر المصراع الأوّل وعجُزُ المصراع الثّاني في الوزن والرّوي والإعراب، وأليقُ ما يكون في مطالع القصائد، كقول امرئ القيس في أوّل معلّقته:

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص35.

[2] السّيوطي، عقود الجمان، ص 60.

[3] أحمد مطلوب، البلاغة العربيّة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجمهورية العراقيّة، ط1، 1980، ص275.

[4] أحمد صفوت زكي، جمهرة خُطب العرب في عصور العربية الزّاهرة، المكتبة العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1993، 38/1.

[5] المرجع السّابق ص275.

قفا نبك من ذكر حبيب ومنزل بسقط اللّوى بين الدَّخولِ فحومل»[1]

فمن خلال هذه التّعريفات السّابقة، نرى أن الأسجاع مبنية على سكون الأعْجَاز، أي أواخر فواصل الفقرات، قصد الاعتدال في مقاطع الكلام. فهنا السّيوطي قام بالمقارنة بين المتوازي والمُرصّع والمُصرّع، بُغية شرح أنواع السّجع.

المطلب الثّالث: التّعريف بالتّركيب

يُعدّ التّركيب تعليق المفهوم المراد تعريفه بمفاهيم أخرى تكشف عن دلالته. وهذا ما نلمسه عند لويس معلوف في تعريفه للتّركيب: «ضمّ أجزاء متفرّقة وترتيبها وربط بعضها ببعض للحصول على وحدة متكاملة»[2]،

أمّا في المعاجم الفلسفيّة نجد مراد موهبة يُعرّفه: «ما قُصد بجزء منه للدّلالة على جزء معناه، فإن كلّ جزء من أجزاء هذه التّراكيب يدلّ على جزء المعنى العامّ المقصود»[3]، ومنه نستنتج أنّ التّركيب ضمّ أجزاء متشابهة كانت أم متفرّقة مع بعضها للحصول على فائدة تامّة. فنرى أنّ السّيوطي قد عرّف البلاغة بتركيبها مع الفصاحة، ويظهر ذلك في قوله:

بلاغــة الكلام أن يطابقــا لمقتضى الحال وقد توافقا

فصاحة والمقتضى مختلف حسب مقامات الكلام يُؤلف[4]

ومن هنا نرى أنّ السّيوطي قد علّق الفصاحة بالبلاغة لاشتراكهما في اللّفظ، فالفصاحة توصف بها الكلمة المفردة والكلام المركّب والمتكلّم، أمّا البلاغة فيُنعتُ بها الكلام والمتكلّم فقط، ثمّ نستدلّ بمثال آخر قوله:

لفظ أُريد لازم معناه مع جوازان يُقصد معناه تبع

ومن هنا تخالف المجازا أقسامها ثلاثة ما انحازا[5]

---

[1] السّيوطي : شرح عقود الجمان، ص151.

[2] لويس معلوف، المنجز في اللّغة العربيّة المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط3، 2008، ص 580.

[3] مراد موهبة، المعجم الفلسفي، دار قُباء الحديثة، القاهرة، مصر، ط5، 2007، ص 589.

[4] السّيوطي، عقود الجمان، ص 4.

[5] المرجع نفسه، ص 46.

يقصد السّيوطي هنا أنّ الكناية لفظ لا يقصد منه المعنى الحقيقي، وإنّما معنى ملازم للمعنى الحقيق، فإنّه لا يُراد فيه المعنى الحقيقي مع المجازي للزوم القرينة المانعة من إرادته، فقرنها بالمجاز لوجود قرينة بينهما. وفيما معناه جاء قول السّبكي الكناية: «لفظ أُطلق وأُريد به لازم معناه الحقيقي مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي مع المعنى المُراد»[1]، فالكناية إذا المقصود من اللّفظ بعيدا عن المعنى اللّفظي، أيّ ما قُصد من قول القائل، وهي أن يتحدّث الفرد بشيء ويُريد شيئا آخر بالقول، كما أنّها تشير إلى إيراد معنى ما دون ذكره بشكل صريح، ولكنّها تدلّ في باطنها على شيء آخر.

ومن خلال التّعريفات التي أوردناها سابقا، جاءت شبه مطابقة لتعريفات السّيوطي، نرى أنّه لا يعتمد طريقة واحدة في تعريفه بل يستعمل التّحليل والمقارنة والتّركيب وأحيانا يجمع بين التّحليل والتّركيب. ليُسهّل على الباحث عملية التّواصل المعرفي والفكري.

[1] السّبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، 237/1.

يُعد التّمثيل عملية معرفيّة لنقل المعلومات أو معنى من موضوع معين إلى آخر، بطريقة خاصّة لتمثيل هذا المعنى، بإمكانها أن تحدث تأثيرا خاصّا لدى المتلقّي، فالتّمثيل يُعيد صياغة المعنى بشكل حسّي يعتمد على التّصوير. وقد يتقاطع التّمثيل مع البلاغة في عدّة مواضع وسنوضّح ذلك فيما يأتي.

المبحث الثّاني: التّمثيل

حين يُذكر مصطلح التّمثيل يتبادر إلى أذهاننا أنّ مرادفه التّشبيه، لذلك يجب علينا التّطرّق إلى مفهومه.

1. التّمثيل لغة

ورد في قاموس المحيط للفيروز أبادي عدّة معان لمادّة (مثل) نذكر منها: «المِثْلُ بالكسر والتّحريك، بمعنى الشّبه، والمَثَلُ، مُحرّكة: الحجّة والحديث، والمثال: المقدار، والقصاص وصفه للشّيء، والمثال جمع أمثلة ومُثُل، والتّمثال بالفتح: التّمثيل، وبالكسر: الصّورة. ومثّله له تمثيلا: صوّره له حتّى كأنّه ينظر إليه، وامتثله هو تصوّره. أمّا الشّبه بالكسر والتّحريك: المثل، جمع أشباه، وشابهه: وأشبهه: ماثله، وتشابها واشتبها: أشبه كل منهما الآخر حتّى التبسا، وشبّهه إيّاه وبه تشبيها: مثّله، والشُّبهة، بالضّم: الالتباس، والمثل»[1].

ومن هنا يتبيّن لنا أنّه ميّز بين التّشبيه والتّمثيل هو تجسيد صورة بأخرى لاشتراكهما في معنى بينهما، فهو مأخوذ من المثال المنصوب، أيّ التّمثال القائم بين العينين، وقد ربط بين التّشبيه والتّمثيل، انتقال المعنى من مجال معقول إلى مجال محسوس.

2. التّمثيل اصطلاحا

تحدّث قدامة ابن جعفر عن التّمثيل في كتابه نقد الشّعر وأفرد له بحثا حيث قال: «هو أن يريد الشّاعر الإشارة إلى معنى، فيضع كلاما يدلّ على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام منبّئان عمّا أراد أن يشير إليه»[2]. لقد كان مفهوم التّمثيل عامّا عند القدماء من علماء البلاغة

[1] الفيروز أبادي، المحيط، ص 1124.

[2] قدامة ابن جعفر، نقد الشّعر، تح: محمّد عبد المنعم خفاجة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1978، ص 85.

فقد أطلقوه على كثير من الصّور البيانيّة كالاستعارة والمجاز والكناية والتّشبيه الاصطلاحي فقدامة ابن جعفر جعله فرعا من ترابط اللّفظ مع المعنى.

ويذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أن التّمثيل نوع من أنواع التّشبيه إذ يقول: «والتّمثيل ضرب من ضروب الشّبيه، والشّبيه عام والتّمثيل أحظى منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلا»[1]، فيشير عبد القاهر الجرجاني في هذا التّعريف إلى أن التّشبيه العام هو ما كان وجه الشّبه فيه مفردا، أي صفة اشتركت بين شيئين ليس غير، وأن تشبيه التّمثيل هو ما كان وجه الشّبه فيه صفة اشتركت بين أكثر من أمرين.

ومن هنا سنحاول أن نستعرض بعض الأمثلة من خلال المنظومة التي خصّصناها للدّراسة.

المطلب الأوّل: التّمثيل بالقرآن

ضرب السّيوطي في هذه المنظومة بعضا من الأمثلة في القرآن الكريم، وظهر ذلك في قوله:

كقولنا أنبت ربّنا البقل وأنبتت الرّبيــع قول من جهـل

وجاء زيد فقد الفعــل علما وما يدعى المجاز العقلي[2]

نرى أنّ السّيوطي استعمل التّمثيل في هذين البيتين، فنجده في البيت الأوّل قد ضرب مثالا من قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة:61]، وذلك قصد تقريب القارئ عن طريق تجسيد صورة بأخرى تشاركها في المعنى.

وأمّا المثال الثّاني ورد في قوله:

في الابتدا كقل هو الله احد أو لكناية ورفعة وضد[3]

وهنا اقتبس السّيوطي هذه الآية من قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1]،

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص75.
[2] السّيوطي، عقود الجمان، ص7.
[3] المرجع نفسه، ص 65.

للتّمثيل بها في باب المسند إليه، ففي هذه الآية موضع لتعظيم الرّب، فجاء قبله ضمير لأنّ القارئ إذا سمع الضّمير تشوّق إلى معرفة الأصل.

ثمّ استعمل مثالا آخر وذلك في قوله:

ومنه قلب عكسه إذا سلك كطرده كمثل كل في فلك[1]

فقد أخذ السّيوطي هذا المثال من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33]، فهو هنا يبيّن لنا قوّة الانسجام، وشواهد ذلك ما استشهد به من القرآن الكريم.

كما أورد مثالا آخر في قوله:

كقوله تقهر وتنهر صدركا وزرك ظهرك وبعد ذكركا[2]

مثّل به السّيوطي في باب لزوم ما لا يلزم، ويقصد به التزام الشّاعر أو النّاثر حرف الرّوي كالآيات المشار ُليها في هذا البيت، فقد اقتبس شطر البيت الأوّل من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضّحى: 9]، أما الشّطر الثّاني من البيت فقد اقتبس السّيوطي من قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ(2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾[الشرح: 2-3].

فالغرض من استعمال السّيوطي للتمثيل بالقرآن، هو تجميل المعنى، فكأنّه بذلك يكتسب مصداقيّة ما يقول، لجذب القارئ وتحبيبه بالنّص الشّعري من خلال تعالقه وترابطه بالقرآن.

المطلب الثّاني: التّمثيل بالحديث

ضمّن السّيوطي شيئا من الحديث النّبوي في منظومته، من غير ذكر دلالة على أنّه من الحديث، ويتجلّى ذلك في قوله:

مثاله لكلّ دين خلق وخلق ذا الدّين الحياء المونق[3]

[1] السّيوطي، عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ص 65.

[2] المرجع نفسه، ص61.

[3] السّيوطي، عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ص 57.

استعمل السّيوطي الكلام النّبوي في نوع يدخل تحت فروع البلاغة سمّاه" التّأسيس والتّفريع" وذلك: «أن يُمهّد قاعدة كليّة بما يقصده ثمّ يرتّب عليها المقصود»[1]، وقد مثّل له بقول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: «لكلّ دين خلق وخُلُقُ هذا الدّين الحياء». رواه ابن ماجة.

كما أورد مثالا في نفس السّياق قوله:

كقولنا لمسلم وقد فسق يا أيّها المسكين إنّ الموت حق[2]

فقد شرحه لهذا البيت قوله: «فهو لا ينكر حقيقة الموت لكنّه بما فسق ولم يتأهّب للموت بالتّقوى والاستعداد، فكأنّه يُنكره وقد يجعل المنكر كالمقرّ إذا كان معه دلائل وشواهد[...] كقولك لمنكر الإسلام حق بلا تأكيد لأنّ مع المنكر دلائل دالّة على حقيقة الإسلام»[3].

فهذا ما وظّفه السّيوطي من أمثلة عن الأحاديث النّبويّة الشّريفة وذلك لتحسين الكلام وترسيخ معانيه في نفس القارئ.

المطلب الثّالث: التّمثيل بالشّعر

يُعتبر الشّعر فنّا من الفنون العربيّة الأولى، إذ حاول العرب تمييز الشّعر عن غيره من أنواع الكلام المختلف، فقد حظيت هذه المنظومة بمجموعة من الأمثال الشّعريّة، سنقوم بذكرها فيما يأتي:

أنواعه منها التّمني ووضع ليت له ولو محـــالا فاستمـع

كمثل يا ليت الشّباب عائد وقد يجي بهل كهل من عاضد[4]

فهنا مثّل السّيوطي للإنشاء وأنواعه فالمقصود منه هنا الطّلبي: «وهو ما يستدعي مطلوب غير وقت الطّلب لامتناع طلب الحاصل وأنواعه كثيرة منها: التّمنّي»[5].

[1] السّيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ص 157.
[2] المرجع السابق، ص6.
[3] المرجع السّابق، ص 11.
[4] المرجع نفسه، ص 24.
[5] السّيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ص 47.

فاستعمل السّيوطي هنا في هذا البيت "التّمنّي" واللّفظ الموضوع له "ليت" وغالبه مستحيل أو صعب نحو قوله: "ليت الشّباب عائد" وهذا ما جاء عند أبو العتاهية في قوله:

فيا ليت الشّباب يعود يوما لأُخبره بما فعل المشيبُ[1]

كما مثّل في ما يخصّ باب التّشبيه بقوله:

وما تركبّا كقــولي أخــذا من قول بشار مماثلا لـذا

والنّقع فوق رؤوسنا والأسيف ليل تهاوى شهبه وتخطف[2]

وهنا ضرب لنا السّيوطي مثالا عن التّشبيه، حيث جاء في شرحه لهذا البيت قوله: «لم يقصد تشبيه اللّيل بالنّاقة والكواكب بالسّيوف، بل عمد إلى تشبيه هيئة السّيوف وقد سُلّت من أغمادها وهي تعلو وترسب وتجيء وتذهب[...] وكذا في جانب المشبّه به فإنّ للكواكب في تهاويها تواقعا وتداخلا واستطالة لأشكالها»[3]، وهذا البيت مثّل به من ديوان بشار ابن برد لما جاء في قوله:

كأنّ مثار النّقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه وتخطف[4]

سنورد مثالا آخر في استعمال السّيوطي للتّمثيل بالشّعر:

فقل مجـــــاز قــول الألمعي ميز عنه قنزعا عن قُنزع

جذب اللّيالي أبطئ أو أسرعي لقوله عقيب هذا المطلــع[5]

فقد مثّل السّيوطي في باب المجاز العقلي، حيث استمدّ هذا المثال من مطلع أرجوزة لأبي النّجم العجلي، فيقول:

من أن رأت رأسي كرأس الأصلع ميّز عنه قنزعا عن قنزع

[1] أبو عتاهية، ديوان أبو العتاهية، دار بيروت للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 392.
[2] السّيوطي، عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ص 38.
[3] السّيوطي، شرح عقود الجمان، ص72.
[4] بشّار بن برد، ديوان بشّار بن برد، تح : محمّد الطّاهر عاشور، الثّقافة العربيّة، الجزائر، د.ط، 318/1.
[5] السّيوطي، عقود الجمان، ص7.

جذب اللّيالـــــي أبطئي وأسرعــي قرنا أشيبيه وقرنا فاترعـي[1]

وذلك قول السّيوطي في تمثيله للشّعر:

وذو تنافر أتاك النّصر كليس قرب قبر حرب قبر[2]

حيث شرح السّيوطي هذا البيت بقوله: «وهو أيضا كالمثال المذكور في النّظم وهو نصف بيت أوّله: " وقبر حرب بمكان قصر" قال الرّماني: "وذكروا أنّه من شعر الجنّ لأنّه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتعتع»[3]، فقد مثّل به لتنافر الكلمات في الفصاحة، وهو أيضا كالمثال المذكور في الشّطر الثّاني من البيت، فالبيت الذي مثّل به السّيوطي قيل في حرب أبي أُميّة فيقول:

وقبر حرب بمكان قصر وليس قرب قبر حرب قبر[4]

نرى السّيوطي قد مثّل بشعر غيره وتفنّن فيه بأسلوبه الخاص، الذي يؤثر في السّامع أو القارئ، حيث استخدم اللّغة بطريقة جمالية ليوصل إلينا مفردات الشّعر بطريقة إبداعية تؤثّر في المتلقي.

المطلب الرّابع: التّمثيل بالبلاغة

تعد البلاغة الطّريقة الصّحيحة التي تساعد على بناء نص لغوي صحيح بعيد عن الأخطاء، ومن هنا سنقوم بذكر بعض الأمثلة البلاغيّة التي ذكرها السّيوطي في المنظومة. فجاء في قوله عن الفصاحة:

فصاحة المفرد أن لا تنفرا حروفه كهعخع استشزرا[5]

فقد شرح السّيوطي هذا البيت بقوله: «أمّا القسم الأوّل ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثّقل وعسر النّطق كهعخع بضمّ الهاء والخاء المعجمة وسكون العين المهملة الأولى من قول

[1] الفضل ابن قدامة، ديوان أبي النّجم الحلبي، تح: محمّد أديب عبد الواحد، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، سوريا، دمشق، د.ط، 2009، ص445.
[2] المرجع السّابق، ص3.
[3] السّيوطي، شرح عقود الجمان، ص5.
[4] خير الدّين الزّركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1986، ص170.
[5] السّيوطي، عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ص3.

أعرابي وقد سُئل عن ناقته تركتها ترعى (العهخع) والهاء والعين لا يكاد أن يجتمعان من غير فصل وهو شجر وقيل لا أصل له في كلامهم وإنّما هو الهعخع بخاءين مجتمعتين»[1]، فالسّيوطي استعمل لفظ "هعخع" للدلالة على الشّجرة وذلك لزيادة جمالية الأبيات ورونقها.

وقال أيضا:

وقد يخص كل موضع نكت كمثل ما أمّ الكتاب قد حوت[2]

فشرح هذا بقوله: «النكتة في الالتفات أن الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن

وأشهى للقلب ألذ للسّمع وأكثر إصغاء لما فيه من التّنقّل لما حيلت عليه النّفوس»[3]، فلقد استعمل هنا مثالا بلاغيا لتوضيح الفكرة وتسهيل توصيلها للقارئ.

وضرب مثالا آخرا وذلك قوله:

كمهمه مغبرة أرجاؤه كأنّ لون أرضه سماؤه[4]

فيقصد «بالمهمه المفازة والمغبرة المملؤة بالغبار والأرجاء والنّواحي [...] والنكتة فيها المبالغة في وصف لون السّماء بالغبرة حتّى صار بحيث يشبه الأرض في ذلك مع أن الأرض أصل فيه»[5]، فهنا شبّه لون السّماء لغبرتها بالأرض، فهذا أسلوب بليغ يترك الأثر في السّامع والقارئ لجمال التّركيب.

نرى أن السّيوطي قد نوّع في نظمه لهذه الأبيات وذلك باستعماله للأمثلة، فقد استعمل أمثلة من القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف والشّعر، وذلك بتمثيله لكلّ علم من العلوم الموجودة في هذه المنظومة، مما يُظهر عنايته بالشّاهد وذلك لأهميته لأنّه يسهّل توصيل الفكرة وتقريبها للقارئ.

[1] السّيوطي، شرح عقود الجمان، ص4.
[2] المرجع السابق، ص13.
[3] السّيوطي، شرح عقود الجمان، ص28.
[4] المرجع نفسه، ص14.
[5] المرجع السّابق، ص30.

المبحث الثّالث: أسلوب الخطاب

لكي يكون الخطاب ناجحا لا بدّ أن يتوفّر فيه الأسلوب أو الطّريقة الملائمة لنقل المعاني، ولذلك سنتطرّق إلى مفهوم الأسلوب:

1. الأسلوب

أ. لغة

عرّف ابن منظور الأسلوب بأنّه: «يقال للسّطر من النّخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، قال والأسلوب الطّريق أو والوجهة والمذهب؛ يقال أنتم في الأسلوب سواء ويجمع أساليب، والأسلوب بالضّم الفنّ، ويقال أخذ فلان في أساليب من القول: أيّ من أفانين منه، وسلك أسلوبه أي طريقه»[1].

كما ورد مصطلح الأسلوب في المعجم الوسيط بأنّه: «الطّريق، سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه وطريقة الكاتب في كتابته والفن، يقال: أخذنا في أساليب من القول فنونا متنوّعة، والصّف من النّخيل أسلوب ونحو: (ج) أساليب»[2]، فكلمة أسلوب إذا ارتبطت في مدلولها اللّغوي بالطريق أو المذهب أو الوجهة والفن.

ب. اصطلاحا

لقد اعتنى العرب القدامى بمفهوم الأسلوب عناية خاصّة باعتباره مدخلا للكشف عن القيم الجماليّة داخل النّصوص، وتناول ابن خلدون مفهوم الأسلوب في فصل صناعة الشّعر، بقوله: «فاعلم أن الأسلوب عندهم عبارة عن المنوال الذي يُنسج فيه التّركيب أو القالب الذي يُفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التّراكيب، الذي هو وظيفة البلاغة والبيان...»[3].

ويرى أحمد الشّايب أن الأسلوب: «طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتّعبير بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال أو العبارات

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، 225/7.

[2] إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزّيات، تر: حامد عبد القادر، المكتبة الرّحمانية، لاهور، الهند، ط1، 2004،ص441.

[3] ابن خلدون، المقدّمة، تح: خليل شحادة، سهيل زكّار، دار الفكر للطّباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص786.

اللّفظية المنسّقة لأداء المعنى»[1]، فمن خلال التّعريفات السّابقة نرى أن الأسلوب هو طريقة نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار عن طريق عبارات لفظيّة توصل المعنى.

2. الخطاب

يعتبر الخطاب من المصطلحات الأكثر تداولا في الدّرس اللّغوي منذ القديم إلى يومنا هذا، فيعدّ مفهوم الخطاب من المفاهيم التي يختلف على تعريفها الدّارسين، إذ لقي اهتماما وعناية كبيرة من قبل علماء اللّغة، وسنوجز هذا المفهوم في المعنى اللّغوي والاصطلاحي.

أ. لغة

لقي لفظ الخطاب حظّا وفيرا من التّعريف في المعاجم العربيّة، فجاء في لسان العرب لابن منظور: «يّقال خطب فلان إلى فلان فخطبه وأخطبه أي أجابه، والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابة، وهما يتخاطبان، ورجل خطيب: حسن الخطبة وجمع خطيب، خطباء وخُطب بالضّم، وخطابة بالفتح صار خطيبا»[2]، فقد توسّع ابن منظور كثيرا في شرح الخطاب، إلّا أنّنا اقتصرنا على ما له علاقة بالكلام أو فعل الكلام.

ب. اصطلاحا

يعرف الخطاب بأنّه فعل كلاميّ يهدف إلى التّأثير على المتلقي، فيقول المبرّد فيه: «مجموعة من الجمل المنطوقة كانت أو مكتوبة، في حالة اشتغال أفقي على موضوع محدّد، ويسعى التّلفّظ إلى التّأثير في المتلقّي بواسطة فرضيّات ورؤى وأحاسيس، ممّا يتطلّب مبدئيّا ديمومة في إنتاجه وتلقّيه تماسكا داخليّا وتدليلا مقنعا وصور تعبيريّة ولغة واضحة»[3]، فيرى المبرّد هنا أنّ الخطاب عبارة عن مجموعة من الجمل المنطوقة أو المكتوبة، يتلفّظ بها المخاطب قصد التّأثير في المتلقي باستعمال صور تعبيريّة ولغة واضحة وسهلة ومفهومة.

---

[1] أحمد الشّايب، الأسلوبية دراسة وتحليل، مكتبة النّهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1994، ص ص44-46.

[2] ابن منظور، لسان العرب، 361/1.

[3] المبرّد، المقتضب، تح: محمّد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام التّجارية، القاهرة، مصر، ط3، 1994، 76/1.

3. أسلوب الخطاب

يعرف الأسلوب الخطابي بأنّه ذو قوّة كبيرة في ألفاظه ومعانيه، وذلك لإثارة المخاطبين، فهو: «قائم على قوّة المعاني والألفاظ وقوّة الحاجة والبرهان وقوّة العقل الخصيب، وهنا بتحدّث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم واستنهاض هممهم ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه شأن كبير في تأثير هذا الأسلوب منزلة الخطيب في نفوس سامعيه وقوّة عارضته وسطوع مُهجته أو نبرات صوته وحسن إلقائه ومُحكم إشارته، ومن أظهر مميّزات هذا الأسلوب التّكرار واستعمال المترادفات وضرب الأمثال واختيار الكلمات الجزلة ذات الرّنين»[1].

ومن خلال هذا التّعريف نرى أنّ الخطاب يجب أن يراعي الموقف والمقام؛ أيّ الوسط الظّرفي كما يجب أن يراعي خصائص معيّنة ليستقطب الأسماع واستمالة النّفوس للتّأثير فيها، وذلك عن طريق وضوح الأفكار والمعاني والبعد عن التّعقيد، ويعتمد كلّ ذلك على الخطيب من خلال إثارة السّامع ونبرات صوته باستعمال الأمثال واختيار الكلمات الجزلة.

وممّا ذكرناه سابقا سنحاول أن نستنبط أهمّ الأساليب الخطابية التي استعملها السيوطي في منظومة عقود الجمان في علم المعاني والبيان.

المطلب الأوّل: الدّعاء

الدّعاء من أفضل العبادات في الإسلام التي يحبّها الله، فهو يقوم على سؤال العبد ربّه والطّلب منه. فيقول الرّازي في تعريفه للدّعاء بأنّه: «استدعاء العبد ربّه عزّ وجل العناية واستمداده إيّاه المعونة، وحقيقة إظهار الافتقار إليه، والتّبرّؤ من الحول والقوّة إليه، وهو سمة العبوديّة واستشعار الذلة البشريّة، وفيه معنى الثّناء على الله عزّ وجل، وإضافة الجود، والكرم إليه، ودعاء العبد ربّه جلّ جلاله: طلب العناية منه، واستمداده إيّاه المعونة»[2]، فالدّعاء إذا عبادة يتوجّه بها العبد إلى ربّه لطلب العناية منه واستمداد المعونة. وسنحاول أن نبحث عن بعض مواضع الدّعاء في المنظومة:

فجاء في بداية المنظومة قول السّيوطي:

---

[1] علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، بيروت، لبنان، د.ط، 1999، ص16.
[2] فخر الرّازي، التّفسير الكبير، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 2000، ص97.

وضمّ ما فرّقه للمشبه والله ربي أسأل النّفع به[1]

فلفظ (أسأل الله) يدل على الدّعاء وقد أورده السّيوطي في بداية المنظومة سائلا الله تعالى أن تكون نافعة للدّارسين. وهذا هو البيت الوحيد في المنظومة الذي أورد فيه السّيوطي الدّعاء

المطلب الثّاني: الإحالة

تعتبر الإحالة من أهم أدوات الاتّساق النّصي، ويقصد بها: «وجود عناصر لغويّة لا تكتفي بذاتها من حيث التّأويل وإنّما تحيل إلى عنصر آخر، لذا تسمى عناصر مُحيلة مثل: الضّمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة»[2]، فالإحالة هي علاقة معنوية بين ألفاظ معيّنة وما يشير إليه من أشياء أو معان تدل عليها عبارات أخرى في السّياق كأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وغيرها.

ومثال ذلك عند السّيوطي قوله:

أولهما سمّ ابتدائيا وما تلاه فهو الطلبي والتّمني[3]

هذه إحالة داخليّة تجلّت في قوله (هو الطلبي) فهو هنا تعود على الطّلبي

وقال أيضا:

والعطف للتّفصيل بالإيجاز في ذا الباب والمسند أو ردّ نفى[4]

وردت الإحالة هنا في قوله (ذا الباب) وهي إحالة خارجية فـ "ذا" تعود على المسند إليه. فلقد استعمل هنا ذا كأداة للإحالة وهي اسم إشارة.

وكذلك ورد قوله:

والحرف من قبل الرّوي يلزم فسمّه لزومه ما لا يـــلزم[5]

[1] السّيوطي، عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ص 3.
[2] عبد الحميد بوترعة، الإحالة النّصيّة وأثرها في تحقيق تماسك النّص القرآني، مجلة الأثر، عدد خاص: أشغال الملتقي الوطني الأوّل حول اللّسانيات والرواية، 22و 23 فيفري 2012، الوادي، الجزائر، ص88.
[3] المرجع السّابق، ص6.
[4] المرجع نفسه، ص11.
[5] السّيوطي، عقود الجمان، ص60.

فهنا إحالة داخلية في قوله (سمّه)، فالهاء ضمير متّصل تحيل على (الحرف)

كما أورد مثالا في تعريفه للبلاغة في قوله:

هو الذي إذا لدونه نزل فهو كصوت الحيوان مستفل[1]

فقوله (هو الذي) يحيل على الإعجاز الذي ورد في البيت الذي قبله فهنا إذا إحالة داخليّة.

نلاحظ من خلال الأمثلة السّابقة أن السّيوطي استعمل العديد من الإحالات في منظومته وذلك لأهمّيتها التي تكمن في الاتّساق والانسجام بين الأبيات لتشكيل وحدة كلّية نصّية فيما بينها.

المطلب الثّالث: المضمرات

المضمر كل مقصد غير مصرّح به ويفهم من خلال سياق الكلام، والقول المضمر: «مفهوم تداولي إجرائي يتعلّق برصد جملة من الظّواهر المتعلّقة بجوانب ضمنيّة خفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العّامة كسياق الحال وغيره»[2]. فالمضمر إذا هو الاسم أو الفعل الذي أضمر، ودُلّ عليه بقرينة. وسنمثّل لذلك بما جاء في المنظومة التي خصّصناها للدّرس، فيظهر ذلك عند السّيوطي في قوله:

وهذه أرجوزة مثل الجمان ضمّنتها علم المعاني والبيان[3]

وقوله "ضمّنتها" فيقصد ضمّنت أنا وهو الفاعل.

وكذلك يظهر استعماله للمضمرات في قوله:

وأن يزكى عملي ويعرضا عن سوئه وأن ينيلنا الرّضا

ففي قوله (أن يزكى)، يقصد نفسه (السّيوطي)، أما في قوله (أن ينيلنا) فيقصد نفسه والقارئ.

وكذلك قوله عن البلاغة:

---

[1] المرجع نفسه، ص4.

[2] مسعود صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص30.

[3] السّيوطي، عقود الجمان، ص3.

بينهما مراتب وتتبع بلاغة محسنات تبدع[1]

ففي قوله "بينهما" الضّمير المتّصل "هما" يعود على البلاغة والفصاحة، فلقد استعمله هنا لتفادي التّكرار لكي لا يفسد التّركيب.

ثمّ يظهر في قوله:

كغيره كقولك الإسلام حق لمنكر والنّفي فيه ما سبق[2]

فالمضمر هنا في قوله" قولك" فالكاف تعود على الضّمير "أنت" أي القارئ.

فالضمائر تلعب دورا هاما في التّحكّم في النّص الشّعري، ولها أثر بالغ في بنيته، إذ تقوم بترجمة الدّلالات الغائبة في الخطاب، فهي تُعين الكاتب أو الشّاعر على ايصال غرضه من الرّسالة لتأثيرها الخفي العميق في السّياق، مع قلّة حروفها وضمورها. فالمضمرات تعين الكاتب أو الشّاعر عن عدم تكرار الكثير من الأسماء والأفعال والصّفات.

[1] السّيوطي، عقود الجمان، ص4.

[2] المرجع نفسه، ص6.

الفصل الثالث:

الخصائص الفنّية

وتيسير التعلّم

المبحث الأوّل: الخصائص الشعريّة

تمهيد في مفهومي الشّعر الإيقاع

يُعرف الشّعر بأنّه كلام موزون مقفّى، دال على المعنى، ويكون غالبا في أكثر من بيت، وسنذكر تعريفه بإيجاز

1. الشّعر

أ. لغة

يقول ابن منظور عن الشّعر: «كلام منظوم القول غلب عليه؛ لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كلّ علم شعرا»[1]، فالشّعر عنده كلّ كلام منظوم موزون ومقفّى.

وعرّفه الفيّومي: «الشّعر العربي هو: النّظم الموزون وحدّه ما تركّب تركُّبا متعاضدا، وكان مقفّى موزونا، مقصودا به ذلك. فما خلا من هذه القيود أو بعضها فلا يسمّى (شعرا) ولا يسمّى قائله شاعرا، ولهذا ما ورد في الكتاب أو السّنة موزونا، فليس بشعر لعدم القصد والتّقفية، وكذلك ما يجري على ألسنة النّاس من غير قصد؛ لأنّه مأخوذ من شَعَرتُ إذا فطنت، وسمّي شاعرا؛ لفطنته وعلمه به، فإذا لم يقصده، فكأنّه لم يشعر به»[2]، فيقصد هنا أن الوزن والقافية هما أساس نظم الشّعر، فالإيقاع الموسيقي النّاتج عنهما هو ما يُعطي للشّاعر خصوصيته، ويمنحه لذّته وجماله المتميّز.

ب. اصطلاحا

اهتمّ العرب القدامى بالشّعر وحاولوا تمييزه عن النّثر، فعرّفه ابن طبابا بقوله: « الشّعر– أسعدك الله– كلام منظوم، بائن عن المنثور الذي يستعمله النّاس في مخاطباتهم، بما خصّ من النّظم الذي إن عدل عن جهته مجّته الأسماع، وفسد على الذّوق، ونظمه معلوم محدود، فمن صحّ طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشّعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذّوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض، والحذق به حتّى

[1] ابن منظور، لسان العرب، 1162/11.
[2] أحمد محمّد الفيومي، المصباح المُنير في غريب الشّرح الكبير، المكتبة العلميّة، بيروت، لبنان، د.ط، 314/1.

تعتبر معرفته المستفادة كالطّبع الذي لا تكلّف معه»[1]، وهنا نجد ابن طباطبا العلوي يُفرّق بين الشّعر والنّثر من ناحيتي الوزن والطّبع، فالشّعر عنده هو النسق الذي ينتظم وفقه الكلام، والطّبع معيار يُضبط به النّظم، كما بيّن أن الوزن هام في الشّعر، فإن فسد الوزن فسدت الأسماع.

وجاء تعريف الشّعر عند ابن رشيق القيرواني: «يقوم بعد النّية من أربعة أشياء وهي اللّفظ والوزن والمعنى والقافية هذا هو حدّ الشّعر؛ لأنّ من الكلام موزونا ومقفّى وليس بشعر؛ لعدم القصد والنّية كأشياء اتّزنت من القرآن ومن كلام النّبي صلّى الله عليه وسلّم»[2]، فالشّعر عنده يقوم على أربعة أشياء وهي اللّفظ والوزن والقافية والمعنى، لكنّه أضاف النّية كشرط لتمييز الشّعر عن النّثر.

2. الإيقاع

لقد تنوّعت تعريفات مصطلح الإيقاع بتنوّع وجهات نظر الباحثين، فقد ارتبط في أصله بالطّرب والتّلحين.

أ. لغة

نجد الفيروز أبادي يعرّفه في القاموس المحيط بأنّه: «الإيقاع من إيقاع من إيقاع ألحان الغناء وهو أن يُوقع الألحان ويبنيها، والإيقاع مصدر وقع النّقر على الطّبلة باتفاقٍ مع الأصوات والألحان»[3]، فمن خلال هذا المفهوم اللّغوي يتبيّن لنا أن الإيقاع ارتبط بألحان الغناء، وإيقاع النّقر على الطبلة.

ب. اصطلاحا

جاء في البِنية الإيقاعية للشّعر العربي أن الإيقاع هو: «الفاعلية التي تنقل إلى المتلقّي ذي الحساسيّة المرهفة الشّعور بوجود حركة داخليّة، ذات حيويّة متنامية تمنح التّتابع الحركي وحدة نغمية عميقة عن طريق إضفاء خصائص معيّنة على عناصر الكتلة الحركيّة تختلف طبعا

[1] ابن طباطبا، عيار الشّعر، تح: عبّاس عبد الستّار، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ص9.
[2] ابن رشيق القيرواني، العمدة، 119/1.
[3] الفيروز أبادي، المحيط، ص127.

لعوامل معقّدة»[1]، فالإيقاع من خلال هذا التّعريف هو التّسلسل والتّماسك النّغمي الذي لديه القدرة على التّأثير في المتلقّي.

كما عرّفه محمد غُنيمي هلال على أنّه: «جرس التّفعيلة المسموع أو المحسوس به، والمختلف من بحر إلى آخر ذلك أن الإيقاع في الشّعر تمثّله التّفعيلة في البحر العربي»[2]، فالإيقاع إذا حركة النّفس الشّعورية، وله أثر جمالي كما أنّه وسيلة إضافيّة للغة، تمثّله تفعيلات بحر معيّن.

وسنقوم بأخذ مثال من المنظومة لمعرفة الإيقاع، فيقول السيوطي:

من ثم لم يحمل على ذا الحكم أشاب كرّ الدّهر دون علم

فقل مجـــاز قول الألمعـــي ميز عنه قنزعا عن قنــزع

جذب اللّيالي أبطئ أو أسرعي لقوله عقيب هذا المطلـــع

أفناه قيل الله للشّمس اطلعــي حتّى إذا واراك أفق فارجعي[3]

ثمّ جاء في قوله:

فلاجتنـــاب عبث قل حذفــه أو لاختبار سامع هل ينبــه

أو قـدر فهمـــه وجنح لدليـل أقوى هو العقل له قلت عليل

أو صونه عن ذكره أو صونكا أو لتأتي الجحدان تجنح لـك[4]

نلاحظ من خلال قراءتنا لهذه الأبيات أن السّيوطي تارة يلتزم بالإيقاع وتارة لا يلتزم به، فعند قراءتنا للأبيات الأولى نُحس بجرس موسيقيّ، وأمّا عند قراءتنا للمثال الثّاني نجده قد نوّع في الإيقاع.

[1] كمال أبو ديب، في البنية الإيقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص230.
[2] محمّد غنيمي هلال، النّقد الأدبي الحديث، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1973، ص461.
[3] السّيوطي، عقود الجمان، ص7.
[4] المرجع نفسه، ص8.

فهذا التّعريف والتّمثيل للإيقاع لا يبيّن لنا الموسيقى الإيقاعية في الأبيات، لذلك ارتأينا تقسيم الإيقاع إلى مكوّنات داخليّة وأخرى خارجيّة.

أمّا الإيقاع الخارجي، فنجد أن الدّراسات الحديثة تُطلق علم العروض والقافية تسمية الإيقاع الخارجي، يقول عبد المالك مرتاض: «والحقّ أن الإيقاع الخارجي في النّص الشّعري هو العروض والقافية، وربّما كان من أقدم ما لوحظ في الدّراسات»[1]

وأمّا الإيقاع الدّاخلي، فيعرّفه عبد الرّحمن الوجي: «الموسيقى الدّاخلية هي ذلك الإيقاع الهامس الذي يصدر عن الكلمة الواحدة، بما تحمل في تأليفها من صدى ووقع حسن وبما لها من رهافة ودقة تأليف، وانسجام حروف، وبعد عن التّنافر، وتقارب المخارج»[2]، فالإيقاع الدّاخلي ينساب في اللّفظ والتّركيب فيعطي إشراقا، يعبّر عن أدقّ ما يجول في النّفس، وهو انتظام موسيقي جميل، يعبّر فيه الشاعر عن مشاعره التي ينقلها إلينا عن طريق ألفاظ ومعاني شعره.

وبما أنّنا تطرقنا إلى مفهوم الإيقاع، يجدر بنا التّفصيل والتّمثيل لكل من الوزن والقافية والرّوي مع التّطبيق لهم مباشرة في المنظومة.

المطلب الأوّل: الوزن

يعدّ الوزن قاعدة أساسيّة يرتكز عليها الشّعراء في تأليفهم للشّعر، وله أثر في تأدية المعنى وهذا توضيح لمفهوميه اللّغوي والاصطلاحي.

1. الوزن لغة

لقي مصطلح الوزن اهتماما في المعاجم، حيث ورد: «وزن يزن وزنا وزنة، وزنت لهم الدّراهم فاتّزنها كقولك نقدتّها له فانتقدها واتزن العدل اعتدل بالآخر، ودينار وازن، ودراهم وازنة بوزن مكّة، ووازن الشّيء سواه في الوزن وتوازنا واتّزن، ومن المجاز استقام ميزان النّهار: انتصف، وكلام موزون، وتقول: زن كلامك ولا تزنه»[3]، وجاء الوزن: «رمز الثقل والخفّة، الوزن: ثقل

[1] عبد المالك مرتاض، تحليل قصيدة أين ليلاي لمحمّد العيد، دار الغرب للنشر والتّوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2004، ص52.

[2] الوجي عبد الرحمن، الإيقاع في الشّعر العربي، دار الحصاد، ط1، بيروت، لبنان، 1989، ص74.

[3] الزّمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1997، 332/1.

الشيء بشيء مثّله، كأوزان الدّراهم، ومثله الرّزن وزن الشيء وزنا وزنة، أوزان العرب ما بَنَتْ عليه أشعارها، واحدها وزن، وقد وزن الشعر وزنا فاتّزن»[1]، تجلّى من المفهوم اللّغوي للوزن بأنّه المساواة والعدل، وهو ما بنت عليه العرب أشعارها.

2. الوزن اصطلاحا

الوزن هو صورة الكلام الذي نسمّيه شعرا، الذي بغيره لا يكون الكلام شعرا، فيعرّفه العلوي الهاشمي بقوله: «الوزن هو كمية من التّفاعيل العروضية الممتدّة المتجاورة أفقيا بين مطلع البيت أو السطر الشّعري وآخره مُقفى، وهو يرتبط بالحالة النّفسية والشّعورية للشاعر، وقد تنعكس حالته على موسيقاه، فالوزن أكثر مناسبة من غيره في التّعبير على فكرة ما أو إحساس ما، والشّاعر الحق يستطيع أن يُسيطر على الوزن الذي يكتب فيه قصيدته»[2]، والوزن هو: «روح القصيدة وقلبها النّابض المعبّر عن مواطن الأحاسيس، وهو ترجمة واقعيّة لانفعالات الشّاعر ورغباته وما تنازعه به ذاته، وهو محور أساس في الجمال الشّعري»[3]

يتمظهر من هذه المفاهيم المذكورة أن الوزن إيقاع ناتج عن التّفعيلات المتكرّرة في البيت الشّعري فهو يرتبط بالجانب النّفسي والشّعوري للشّاعر، كما أنّه قاعدة أساسيّة لا يستغني عنها الشّاعر. وسنورد أمثلة لنبيّن الوزن الذي استعمله السّيوطي في منظومته.

يقول السّيوطي:

فَصَاحة المفرد أن لا تنفرا حروفه كهعخع استشزرا

وعدم الخلف لقانون جلى كالحمد لله للعليّ الأجلل[4]

وسنحاول تقطيع هذه الأبيات لإظهار دلالة الوزن فيها:

فَصَـاْحَةُ لْمفْرَدِ أَنْ لَاْ تنَفْرِاْ حُرُوْفُهُوْ كَهُعْخُعِ اِسْتَشْـزَرَاْ

[1] ابن منظور، لسان العرب، 205/13.

[2] علوي الهاشمي، فلسفة الإيقاع في الشّعر العربي، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، ص211.

[3] موفّق قاسم خلف الخاتومي، دلالة الإيقاع إيقاع الدلالة في الخطاب الشّعري الحديث، دار غيداء للنشر والتّوزيع، عمّان الأردن، ط1، 2016، ص11.

[4] السّيوطي، عقود الجمان، ص3.

0//0/0/0//0// 0//0// 0//0/ 0/ 0///0/0 //0//

مُتفعلـُـنْ مُتَفْعِلُنْ مُسْتَفعِلـُـنْ مُتَفْعِلُنْ مُتَفْعِلُـــنْ مُسْتَفْعِلُنْ

وَ عَدَمُ لْخُلْفِيْ لِقَانُوْنِنْ جَلِيْ كَلْحَمْدُ لِلّهِ لِلْعَلِيْيِ لْأَجْلَلِـــيْ

0//0/0/0//0/ //0//0/0/ 0// 0/0/0// 0/0/0 ////

مُتَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُـنْ مُسْتَفْعِلُـنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُتَفْعِـلُنْ مُتَفْعِـلُنْ

فبعد التّقطيع العروضي لاحظنا أن هذين البيتين قد وظّف فيهما السّيوطي بحر الرّجز الذي مفتاحه الشّعري:

في أبحر الأرجاز بحر يسهل مُسْتَفعلنْ مستفْعِلُنْ مُسْتفعِلُ

وقد طرأت عليه زحافات وعلل ما سبب اختلال في الإيقاع، فجاء هذا الوزن مناسبا لدلالة القصيدة، وهذا البحر عادة ما يستعمله الشّعراء في كتابة الشّعر التّعليمي أو المنظومات التّعليميّة.

المطلب الثّاني: القافية

تعدّ القافية من أهم العناصر المكمّلة للإيقاع، فهي تقع في آخر البيت وتكون إمّا كلمة أو حرف يتكرّر في آخر كلّ بيت من أبيات القصيدة.

1. القافية لغة

جاء في اللّسان لابن منظور: «يقال قفوت فلان اتّبعت أثره، وقفوته أقفوه، رميته بأمر قبيح، وفي نوادر الأعراب قفا أثره أي تبعه، وضدّه في الدّعاء قفا الله أثره، مثل عفا الله أثره، واقتفى أثره وتقفّاه، اتّبعه وقصيت على أثره بفلان أي اتّبعته إياه، والقافية آخر كلمة في البيت، وإنّما قيل لها قافية لأنّها تقفو الكلام»[1] وورد أيضا: « قَفَوَ: القفوة رهجة تثور عند أوّل المطر والقفو مصدر قولك: قفا يقفو، وهو أن يتّبع شيئا وقفوته أقفوه قفوا، وتقفّيته أي اتّبعته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[

[1] ابن منظور، لسان العرب، 160/12.

الإسراء:36]، والقافية مأخوذة من القفا وراء العنق في القافية، وقفوته قفوا تبعته»[1]، فالقافية في المفهوم اللّغوي تعني اتّباع الأثر وتقفّيه.

2. القافية اصطلاحا

يقول إبراهيم أنيس في قوله: «ليست القافية إلا عدّة أصوات تتكرّر في أواخر الأشطر والأبيات من القصيدة، وتكرارها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشّعرية فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقّع السّامع تردّدها ويستمتع بمثل هذا التّردّد الذي يطرق الاذان في فترات زمنيّة منتظمة وبعدد معيّن من مقاطع ذات نظام خاص يسمّى الوزن»[2]

كما نجد مصطفى محمّد أبو الشّوارب وزين كامل يعرّفانها بأنّها: «القافية عبارة عن وحدة صوتية مطّردة اطرادا منظّما في نهاية الأبيات حتّى كأنّها فواصل موسيقيّة متوقّعة بالنّسبة لسامع الشّعر العربي بين فترات زمنيّة منتظمة، وتعتبر ضابط الإيقاع في البيت الشّعري»[3]، نستشفّ من هذه الأقوال أن القافية عبارة عن مقاطع صوتية تتردّد في أواخر الأبيات الشّعريّة محدثة رنّان موسيقيّة، ولا يمكن أن يستغني عنها الشّعر العربي، فهي إحدى خصائصه الأساسيّة والجوهرية.

وسنحاول التّمثيل بأبيات من المنظومة المدروسة، يقول السّيوطي:

بلاغة الكلام أن يطابـــقا لمقتضى الحال وقد توافقــا

فصاحة والمقتضى مختلف حسب مقامات الكلام يؤلف[4]

وسنقطّع هذه الأبيات عروضيا لتحديد نوع القافية فيها:

بَلَاْغَةُ لْكَلَاْمِ أَنْ يُطَاْبِقَــاْ لِمُقْتَضَلْحَاْلِ وَقَدْ تَوَاْفَقَاْ

0//0//0//0//0// 0//0//0//0///0//

---

[1] الفيروز الأبادي، قاموس المحيط، ص432.

[2] إبراهيم أنيس، موسيقى الشّعر العربي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط3، 1965، ص264.

[3] محمّد مصطفى وزين كامل، العروض العربي صياغة جديدة، دار الوفاء للطّباعة والنّشر، عمّان الأردن، 11/2.

[4] السّيوطي، عقود الجمان، ص4.

متفعلن متفعلن متفعلن	متفعلن متْفعلن متفعلــن
فَصَاْحَتُنْ وَلْمُقْتَضَمُخْتَلِفُنْ	حَسْبَ مَقَاْمَاْتِ لْكَلَاْمِ يُؤْلَفُوْ
0///0///0/0/ 0//0//	0//0/ /0//0 /0/0// /0/
مُتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُ مُتْفَعِلُنْ	مُسْتَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُتَفْعِلُــنْ

تجلّى بعد دراستنا للقافية أن السّيوطي استخدم قافية متنوّعة، ففي البيت الأوّل جاءت القافية في وَاْفَقَاْ(/0//0)، وأما البيت الثّاني فجاءت القافية في يُؤْلَفُوْ (/0//0)، فتأتي القافية خادمة للمعنى لأنّها كما أقرّ جان كوهين: «ليست أداة أو وسيلة تابعة لشيء آخر بل هي عامل مستقلّ، صورة تضاف إلى غيرها وهي كغيرها من الصّور لا تظهر وظيفتها الحقيقية إلا في علاقتها في المعنى»[1]، وقد جاءت القافية مقيدة في البيت الأوّل أي ساكنة غير متحرّكة، ومطلقة في البيت الثّاني أي متحرّكة غير ساكنة.

ونستنتج من خلال ما تقدّم سابقا أن القافية عنصرا جوهريا في بناء القصيدة الشّعرية فهي تساهم في توجيه الإيقاع دلاليا وبلاغيّا كما أن لها دورا فعّالا وحيويا في البناء الإيقاعي للشّعر.

المطلب الثّالث: الرّوي

يعدّ الرّوي أحد الأركان الأساسية في القافية، وهو الحرف الذي تُبنى عليه القصيدة.

1. الرّوي لغة

ورد في لسان العرب: «روى الحبل ريّا فارتوى، والرِواء بالكسر والمدّ: حبل من حبال الخباء، وقد يُشدّ به الحمل والمتاع على البعير»[2]، فالرّوي هو ما يُشد به الحمل والمتاع وهو في الشّعر ما تُشدّ به القصيدة.

[1] محمّد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية والدّلالة، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ط1، 2001، ص 100.

[2] ابن منظور، لسان العرب، 271/6.

2. الرّوي اصطلاحا

يعتبر الرّوي الحرف الذي يُلزم تكرّره في آخر كل بيت من أبيات القصيدة، فقد عرّفه صابر عبد الدّايم بأنّه: «سمّي رويّا لدلالته على التّأنّي والفكر والتّدقيق في اختيار الحرف المناسب وتكراره بعينه بشكل حريص في كلّ أبيات القصيدة، كما أنّ هناك من اعتبره رويّا أي عصمة يتمّ بها تماسك الأبيات وعدم تفرّقه»[1]

كما جاء في كتاب العروض وإيقاع الشّعر العربي بأنّه: «الرّوي هو الحرف الأخير من كلّ بيت وهو الذي تُبنى عليه القصيدة وتُنسب إليه، إذا غلب فيها صوت الرّاء نقول قافية رائية وإذا غلب فيها صوت الدّال قلنا قافية دالية»[2]، فالرّوي هو الحرف الذي تُبنى عليه القصيدة وتنسب إليه، فهو آخر حرف صحيح في البيت، فمثلا نقول لامية الشّنفرى وسينية البحتري.

وسنمثّل على هذا من خلال قول السّيوطي:

الأوّل الكلمة المستعملة　　في الاصطلاح في الذي توضع له

وغيره مع قرينة علـــى　　وجـــــه يصـــــحّ وإرادة جـــــلا[3]

وسنقطّع هذه الأبيات عروضيا لاستخراج حرف الرّوي:

أَلْأَوَّلُ أَلْكَلِمَةُ لْمُسْتَعْمَلَـــةُ　　فِلْاِصْطِلَاْحِ فِلَّذِيْ تُوْضَعُ لَهُوْ

///0/0/0////0///0/0/　　0////0/ 0//0//0//0/0/

مُسْتَفْعِلُ مُتَعِلُنْ مُسْتَعِلُ　　مُسْتَفْعِلُنْ مُتَفْعِلُنْ مُسْتَعِـــلُنْ

وَغَيْرُهُ مَعَ قَرِيْنَتِنْ عَلَىَ　　وَجْهُنْ يَصِحْحُ وَإِرَدَتُنْ جَـلَاْ

///0//0//////0//　　0//0/ /0// /////0//0

[1] صابر عبد الدّايم، موسيقى الشّعر العربي بين الثّبات والتّطور، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1993، ص166.
[2] عبد الرحمن تبر ماسين، العروض وإيقاع الشّعر العربي، دار الفجر للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 2001، ص37.
[3] السّيوطي، عقود الجمان، ص42.

مُتَفْعِلُ مُتَعِلْن مُتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُتَعِلُنْ مُتَفْعِلُنْ

نلاحظ أن المنظومة لم تستقر على حرف روي واحد، إنّما اعتمد السّيوطي على التّنوّع، فمثلا نجده اعتمد على حرف (الهاء) و(القاف) و(الراء) و(الياء)، وهذا الاختلاف أكسب الأبيات دلالة قويّة ناتجة عن إيقاع موسيقي رنّان.

اتّضح لنا بعد هذه الدّراسة أن الإيقاع أعمّ من الوزن باعتباره يشمل مختلف تشكيلات القصيدة، أمّا الوزن فهو جزء منه وأنّ الإيقاع نوعان داخلي وخارجي، وقد لاحظنا أن السّيوطي استعمل بحر الرّجز ووُفّق لاستخدامه بحيث جاء خادما للدّلالة والإيقاع، كما اعتمد الزحافات والعلل، وهذه الأخيرة قضت على التكرار الذي تمنحه نفس التّفعيلة، وارتأينا أنّه نوّع في القافية فجاءت مطلقة ومقيّدة، وهذا بدوره ولّد إيقاعا على مستوى القصيدة.

إنّ أكثر ما يميّز اللّغة العربيّة عن غيرها هو تنوّع الأساليب اللّغويّة فيها، ما يساعد الكاتب في اختيار الأسلوب المناسب بطريقة صحيحة ومميّزة، حتّى يستطيع التأثير في القرّاء، ونجد أنّ الأفكار المرتّبة بطريقة صحيحة ومنظّمة تعمل على المساهمة في الوصول للهدف المطلوب، وفيما يخصّ أساليب البلاغة فإنّها تعبّر عن الوسائل والطّرق التي يتمّ استخدامها في الكتابة، وسنظهر أهم الخصائص البلاغية التي وظّفها السّيوطي في منظومته (عقود الجُمان في علم المعاني والبيان).

المبحث الثّاني: الخصائص البلاغية

إن المنظومة التي بين أيدينا غنيّة بالصّور البلاغيّة والخصائص الفنّية التي وظّفها السّيوطي بشكل مبدع، ممّا جعلها تخدم المضمون وتضفي لمسة جمالية على منظومته، وقبل التّفصيل في هذه الخصائص(الاستعارة، الطّباق، التّقديم والتّأخير) وجب علينا الإشارة إلى عنوان المنظومة" عقود الجمان في علمي المعاني والبيان" وما يحمله من جماليات، فنلاحظ هنا أن الجملتان قد بُنيتا على نفس الحرف وهو النون (الجمان والبيان)، فقد استعمل السّيوطي في عنوانه السّجع، مما اعطاه إيقاعا وجرسا موسيقيّا وذلك ليجذب انتباه القارئ، كما نجده وظّف الكناية في" عقود الجمان" للكشف عن الجماليات والفنّيات الموجودة في المنظومة.

المطلب الأوّل: الاستعارة

توصف الاستعارة بأنّها حسنة وجميلة إذا كثرت فيها البلاغة الفنّية وتمّ بها بيان المعنى بشكل مختلف عن معناه الأصلي.

1. الاستعارة لغة

جاء في قاموس المحيط قوله: «والعارة: ما تداولوه بينهم: جمع عواري مشدّدة ومخفّفة. أعاره الشيء، وأعاره منه، وعاوره إيّاه، وتعوّر، واستعار: طلبها. واستعاره منه: طلب اعارته، واعتوروا الشّيء وتعوّروه وتعاوروه: تداولوه»[1]، وأمّا صاحب اللّسان فقد عرّفه بقوله: «...والعارية والعارة:

[1] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، 423/1.

ما تداولوه بينهم، وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إياه، والمعاورة والتّعاور: شبه المداولة والتّداول في الشيء يكون بين اثنين»[1]

وبتأمّل ما سبق نجد أنّ الاستعارة في معناها اللّغوي تعني نقل الشّيء من شخص إلى آخر للإفادة منه والانتفاع به.

2. الاستعارة اصطلاحا

الاستعارة وليدة التّشبيه والمجاز، فقد عرّفها ابن الأثير بقوله: « حدّ الاستعارة نقل المعنى من لفظ إلى لفظ، لمشاركة بينهما، مع طيّ ذكر المنقول إليه»[2]، أما السّكاكي فيعرّف الاستعارة على أنّها: «أن تذكر أحد طرفي التّشبيه، وتُريد به الطّرف الآخر مدّعيا دخول المشبّه في جنس المشبّه به دالا على ذلك في إثباتك للمشبّه ما يخصّ المشبّه به»[3].

فالاستعارة تعني نقل المعنى من لفظ إلى آخر، والنّقل يعني أنّه كلّ استعارة تكون أمام معنيين أحدهما أصلي والآخر مجازي، انتقلت الكلمة فيه من وضعيتها إلى دلالة فنّية جديدة. ونستدل بقول السّيوطي من المنظومة في باب الاستعارة واقسامها:

والاستعارة لدى يوسف أن ... يذكر ما من طرف التّشبيه عن

مريدا الآخـــر بالدّعـــاء ... دخــول مــا شبّــه باقتفـــاء

في جنس مشبّه به وقسما ... إلى مصـــــرّح ومكنّى فمـــا

ينوى مشبّه فقط مصرّحـه ... وعكسها المكني قـــول رجحــه

والتّبعيـــــة إليـــها ردّا ... وشيخنا يقــول عكــس اجدى[4]

[1] ابن منظور، لسان العرب، 322./1

[2] ابن الأثير، المثل السائر، تح: محي الدّين عبد الحميد، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، د.ط، 1939، 351/1.

[3] السّكاكي، مفتاح العلوم، ص258.

[4] السّيوطي، عقود الجمان، ص45.

يتبيّن لنا من خلال هذه الأبيات أنّ السّيوطي فصّل في الاستعارة وأقسامها، فالاستعارة عنده أن تذكر أحد طرفي التّشبيه، وتريد به الآخر المتروك، مدّعيا دخول المشبّه في نوع المشبّه به. ومثال ذلك من قوله:

فلا يقال أسد لأبـــــخرا وإن قوى التّشبيــه حتّى صيــرا[1]

قيل رأيت أسدا والمراد به أبخر فإنّ وجه التّشبيه (الإنسان) بين الطرفين خفي.

فالاستعارة تستخدم كأسلوب بلاغي جمالي يمنح الكلام قوة ويعطيه رونقا وصورة حسنة.

المطلب الثّاني: الطباق

اتّفق اللّغويون لصحّة معنى الطّباق في علم البديع، لكنّهم اختلفوا بتسميته للطّباق أو المطابقة.

1. الطّباق لغة:

جاء في معجم العين للخليل: «طابقت بين الشّيئين إذا جمعتهما على حذو واحد. ومن نعوت المعاني التكافؤ وهو أن يصف الشّاعر شيئا أو يذمّه أو يتكلّم فيه في معنى ما، أي معنى كان فيأتي بمعنيين متكافئين»[2]، كما ذكره لويس معلوف: «أن الطّباق يؤخذ من الفعل الماض هو طابق معناه خلاف انفتح وانبسط أو مطابق يُقال هذا طباق أي يُطابقه ويوافقه»[3]

فالطباق في المعنى اللّغوي يعني الجمع والتّكافؤ، والتّوافق وعكسه الانبساط والانفتاح.

2. الطّباق اصطلاحا

يقصد أهل البديع بالطّباق أنّه الجمع بين شيئين متقابلين، «الطّباق محسّن معنوي وهو الجمع بين معنيين اثنين متقابلين في كلام واحد»[4]، كما عرّفه الأخضري في الجوهر المكنون

[1] المرجع نفسه، ص45.
[2] الخليل ابن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، القاهرة، مصر، د.ط، 265/5.
[3] لويس معلوف، المنجد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، د.ط، 2004، ص46.
[4] أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، ص320.

بأنّه: «الجمع بين متقابلين في الجملة سواء كان تقابل الضّدّين أو نقيضين أو عدم وملكة ويكون بلفظين من نوع اسمين، فعلين، حرفين»[1].

والطباق هو التّضاد والتّكافؤ، وهو الجمع بين معنيين اثنين متقابلين في مكان واحد سواء كان هذان المتقابلان متضادان أو متناقضان.

ويتجلى مثال على هذا في منظومة السّيوطي قوله:

كمثل أيقاظا وهم رقود يحيي ويميت وله تعديد[2]

وهنا ضرب لنا مثالا من قوله عزّ وجل: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ﴾ [الكهف: 18]

فهنا جاء الطّباق بين اسمين "أيقاظا" و "رقود" ، وأورد من قوله تعالى: ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد:2]، جاء الطّباق بين فعلين اثنين يحيي ويميت.

ثم أورد مثالا آخر في الطّباق قوله:

كذا خطاب للذّكي والغبي وكلمة لها مقام أجنبي[3]

استعمل السّيوطي طباق في الشّطر الأوّل من البيت بين اسمين الغبي والذّكي.

يُعطي وجود الطّباق في الجملة معناها الكامل، ويوضّح ما المقصود بها. فهو يضيف على النّص الجمال الذي ينقصه ويساعد على ربط الأشياء بعضها ببعض.

المطلب الثّالث: التّقديم والتّأخير

التّقديم والتّأخير نوعا من أنواع البلاغة يغيّر بعناصر الجملة من فعل وفاعل ومفعول به. يستخدم الكاتب التّقديم والتّأخير للفت النّظر على جزء من الجملة.

[1] عبد الرحمن الأخضري، الجوهر المكنون، دار البصائر للبحث العلمي، القاهرة، مصر، د.ط، ص 160.
[2] السّيوطي، عقود الجمان، ص48.
[3] السّيوطي، عقود الجمان، ص4.

1. التّقديم والتّأخير لغة

التّقديم في اللّغة مشتق من الجذر الثّلاثي (قَدمَ)؛ جاء في كتاب العين: «القُدمَة، والقَدَم أيضا: السّابقة في الأمر، وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:2]؛ أي سبق لهم عند الله خير، وللكافرين قدم شر...والقِدم مصدر القديم من كلّ شيء، وتقول قَدُمَ يَقْدُم وقدم فلان قومه، أي: يكون أمامهم»[1].

أمّا التّأخير، فهو مشتق من الجذر الثّلاثي (أَخَرَ): «التّقديم ضدّ التّأخير، ومؤخر كلّ شيء خلاف متقدَّمه أو مقدّمِه يقال: ضرب مقدّم رأسه ومؤخّره، والمقدّم: نقيض مؤخّر، وقُدّام خلافة وراء»[2]

فالتّقديم والتّأخير متضادّان، لذلك فإنّ المعاجم لا تذكر أحدهما بدون الآخر.

2. التّقديم والتّأخير اصطلاحا

أمّا التقديم والتّأخير في المعنى الاصطلاحي، فنجده مرتبطا بمعناه اللّغوي السّابق، بالإضافة إلى النّظر إلى الأصل في التّركيب اللّغوي، كونه جملة اسمية مكوّنة على الترتيب من مبتدأ وخبر، أو جملة فعلية مكوّنة على التّرتيب من فعل وفاعل ومفعول به، أو ما في محلّه إن كان الفعل متعدّيا، وعليه فإنّ أي تغيير في هذا الترتيب يعدّ تقديما وتأخيرا. فعرّفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: «باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التّصرّف، سعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعه وتقصّي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه[...] واعلم أن تقديم الشيء على وجهين تقديم يقال إنّه على نية التّأخير وذلك في كلّ شيء تقرنه مع التّقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه، وتقديم لا على نيّة التّأخير ولكن أن تنقل الشيء على حكم إلى حكم وتجعله بابا غير بابه وإعرابا غير إعرابه.»[3]، ويعد التّقديم والتأخير أحد أهم مظاهر العدول عن نظام بناء الجملة: « فهو ميل اللّغة العربيّة وامكاناتها في اتجاه حرّية التّرتيب للكلمات داخل الجملة، وهو ما يؤكده واقع استخدام اللغة.»[4]، فالتّقديم والتّأخير للكلام يكون بغرض الإفادة، وذلك من خلال تحريك

---

[1] الفراهيدي، معجم العين، 366/3.
[2] ابن منظور، لسان العرب، 66/11.
[3] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص83.
[4] عبد الحكيم راضي، نظرية اللغة في النقد العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د.ط، 1980، ص218.

عنصر من موقعه الأصلي إلى موقع آخر في الجملة نفسها مع مراعاة الوقوع في الخطأ ومطابقة الكلام لمقتضى الحال.

فنجد التّقديم والتّأخير قد ورد في قوله:

ومنه نوع سمّي المقابلة وهي مجيء أحرف مقابلة[1]

ابتدأ تعريفه للمقابلة بأنّها نوع من المحسنات البديعيّة في الشطر الأوّل من البيت، وأمّا في الشطر الثّاني من البيت ذكر بأن المقابلة مجيء أحرف مقابلة، فالأصل أن يذكر أن المقابلة هي مجيء أحرف مقابلة ثّم يذكر نوعها. والسبب في استعماله للتّقديم والتّأخير. فالمقابلة هي أن يأتي المتكلّم بمعنيين متوافقين من المعاني أو أكثر، ومن ثمّ يؤتى بما يقابلهما من المعاني بالتّرتيب وهي نوع من أنواع المحسّنات البديعيّة.

وكذلك يظهر التّقديم والتأخير في الطّباق قوله:

منه الطّباق بالتّضاد مائل الجمع بين اثنين ذي تقابل[2]

فيتبيّن لنا هنا أنّه استخدم التّقديم والتّأخير في تعريفه للطّباق، فمن الطّبيعي أن يذكر أنّه الجمع بين اثنين متقابلين ثمّ يذكر التّضاد، ولكنّه هنا قد قدّم وأخّر في تعريفه هذا. ومن أسباب استعماله التّقديم والتّأخير في المنظومة أن الضرورة الشّعرية تفرض عليه ذلك.

فللتّقديم والتّأخير فوائد كثيرة تعبر عن مدى سعي اللّغة العربية إلى تحصيل جمال التّعبير والصّياغة قبل كلّ شيء، ولو كان ذلك على حساب التّرتيب الذي وضعه الأوّلون لتراكيبهم.

وبعد دراستنا لهذه الخصائص البلاغية والتّمثيل لها، وصلنا إلى نتيجة مفادها أن هذه الخصائص تسهم في بناء نصّ صحيح بعيد عن الأخطاء، فهي تساعده على اختيار اللّفظ

[1] السّيوطي، عقود الجمان، 48.
[2] السّيوطي، عقود الجمان، ص48.

السّليم في المكان المناسب ليستقيم المعنى، فالطّباق والاستعارة والتّقديم والتّأخير يُضفون إلى النّص جمالية ورونقا تجذب المتلقّي.

خاتمة

خاتمة

بعد دراستنا النّظريّة للبلاغة التّعليميّة ومقومات العمليّة التعليميّة وتطبيقنا على منظومة عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسّيوطي، توصّلنا إلى مجموعة من النّتائج نذكر أهمّها:

1. يعتبر الفعل التّعليمي أو الدّيداكتيكي نواة العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة، والحقيقة أن نجاح المدرّس في مهمّته يتوقف على درايته لأدوار المكونات الأساسيّة للمثلث الدّيداكتيكي (المعلّم، المتعلّم، المعرفة)، ومدى فعاليته وصحّة تصوّره. ومن هذا المنظور يعتبر الديداكتيك أو التّعليميّة الدّراسة العلميّة لتنظيم وضعيات التّعلّم التي يعيشها المتعلّم لتحقيق أهداف تعليميّة معيّنة.

2. المثلّث التّعليميّ هو ذلك المثلّث الذي يُعبّر عن الوضعية التّعليميّة باعتبارها نسقا يجمع بين ثلاثة أقطاب غير متكافئة هي: المعلّم والمتعلّم والمعرفة. وما يحدث من تفاعلات بين كل قطب من هذه الأقطاب في علاقته بالقطبين الآخرين. فالعلاقة بين المعلّم والمتعلّم عقد ديداكتيكي، أمّا العلاقة بين المعلّم والمعرفة نقل ديداكتيكي، وبين المعلّم والمعرفة الاكتساب.

3. البلاغة اسم مشتق من فعل" بَلَغَ " بمعنى أدرك الغاية أو وصل إلى النّهاية، وهي تدلّ في اللّغة على إيصال معنى الخطاب كاملا إلى المتلقّي بإيجاز ويؤثّر فيه سواء أكان هذا المتلقّي سامعا أم قارئا. أمّا في معناه الاصطلاحي تعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

4. تنقسم البلاغة إلى ثلاثة أقسام؛ قسم البيان وهو علم يبحث في وجوب مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطب وأحوال السّامعين، ويبحث في المعاني المستفادة من تأليف الكلام ونظمه وسياقه، وقسم المعاني يختص بعنصر المعاني والأفكار، وطرق اختيار التّركيب

اللّغوي المناسب للموقف، وقسم البديع يختص بعنصر الصّياغة، وحسن تنظيم الجمل والكلمات وتنسيقها.

5. يعد المعلّم قطبا من أقطاب العمليّة التّعليميّة، أمّا المؤلّف هو العالم أو الكاتب الذي يبدع في فكرة ما لإخراج فكرة جديدة بأسلوب مميّز، وقد جمعنا هذان العنصران (المعلّم والمؤلّف)، لأنّ المعلّم هو نفسه المؤلّف في هذه المنظومة التي خصّصناها للدّراسة في شخص واحد وهو جلال الدّين السّيوطي.

6. أن المعلّم النّاجح هو الذي يتميّز بصفات وخصائص تقوده لإنجاح العمليّة التّعليميّة، ومن بين الصّفات التي يجب أن تتوفّر في المعلّم: شخصيّة وتتمثّل في قوة شخصيته، الذّكاء، الإخلاص. أمّا التعليمية اندرج ضمنها اتساع المعرفة والإعداد الأكاديمي والمهني للمعلّم. إضافة إلى الخصائص النفسية والاجتماعية، فبهذا ينجح المعلّم في تأدية رسالته.

7. القصد من نظم السّيوطي لهذه المنظومة هو تسهيل تعليم البلاغة وإفهام مضمونها، مستخدما في ذلك معاني دقيقة ذات دلالة واضحة لتسهيل حفظ المعلومات وإفهامها للقارئ. فنجده قد استعمل عدّة أنواع للتّعريف بالبلاغة وعلومها، فقد استعمل التّحليل، والمقارنة، والتّركيب وأحيانا يجمع بينهم. كما مثّل للبلاغة وفروعها، فاستعمل أمثلة من القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف والشّعر، وهذا يُظهر عنايته بالشّاهد لتسهيل توصيل الفكرة للقارئ.

8. استعمل السّيوطي خصائص فنّية لتيسير التّعلم، منها خصائص شعريّة تجلّت في: الإيقاع وتمثّله التّفعيلة في البحر العربي، فحركة كلّ تفعيلة تمثّل وحدة الإيقاع في البيت، وأمّا الوزن هو إيقاع ناتج عن التفعيلات المتكرّرة في البيت الشّعري، والقافية هي مجموعة الأحرف التي تبدأ من آخر ساكن في القصيدة حتّى أوّل متحرّك قبل السّاكن الذي يليه، ونجد الحافظ قد نوّع في القافية فجاءت مطلقة ومقيّدة، وأمّا الرّوي فهو الحرف الذي تُبنى عليه القصيدة وتُنسب إليه فالمنظومة لم تستقر على حرف روي واحد وإنّما اعتمد على التّنوّع. وهذا الاختلاف بدوره ولّد إيقاعا على مستوى المنظومة. أمّا الخصائص البلاغيّة فقد ضمّت: الاستعارة والطّباق

والتقديم والتأخير، فهم يُضفون إلى النّص جمالية ورونقا تجلب المتلقّي، كما يسهمون في بناء نص صحيح بعيدا عن الأخطاء.

قائمة المراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، الدّار القيّمة للنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا.

المدونة: جلال الدّين السّيوطي، عقود الجمان في علمي المعاني والبيان، ترتيب وتنسيق: محمّد نعمان بن علي البعداني، جامعة الإيمان، صنعاء، اليمن، د.ط، 2009.

المعاجم:

1. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار العودة للنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط2.
2. أبو القاسم محمود بن عمرو الزّمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
3. أحمد ابن فارس، مقاييس اللّغة العربيّة، تح: عبد السّلام محمد هارون، اتحاد كتاب العرب، ط1، 2002.
4. أحمد محمّد الفيومي، المصباح المُنير في غريب الشّرح الكبير، المكتبة العلميّة، بيروت، لبنان، د.ط.
5. إسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصّحاح، دار الحديث، القاهرة، مصر، د.ط، 2009.
6. جبران مسعود، الرّائد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1992.
7. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، القاهرة، مصر، د.ط.
8. عبد القاهر الجرجاني، التّعريفات، مؤسسة الحسنى، أغادير، المغرب، ط2006،1.
9. فخر الرّازي، التّفسير الكبير، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 2000.
10. لويس معلوف، المنجد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، د.ط، 2004.
11. مجد الدّين أبي طاهر الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، مصر، د.ط، 2008.
12. محمد ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
13. محمّد الرّازي، مختار الصّحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د.ط.

قائمة المراجع:

14. إبراهيم أنيس، موسيقى الشّعر العربي، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 1965.
15. عز الدّين ابن الأثير الجزري، المثل السّائر، تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، د.ط، 1939.
16. أبو الحس ابن طباطبا العلوي، عيار الشّعر، تح: عبّاس عبد السّتار، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1989.

17. عبد الحي ابن عماد الحنبلي، شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرنؤط، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
18. الحسن بن عبد الله أبو الهلال العسكري، الصّناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، د.ط، 1952.
19. أبو عثمان الجاحظ، البيان والتّبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1998.
20. أحمد بن عبد الله الشّايب، الأسلوبية دراسة وتحليل، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة، مصر، ط2، 1994.
21. أحمد الفاسي، الديداكتيك مفاهيم ومقاربات، جامعة عبد المالك السّعدي، المدرسة العليا للأساتذة، طيطوان، المغرب، ط1، 2004.
22. أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، ط2، 1996.
23. أحمد صفوت زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزّاهرة، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
24. أحمد مطلوب، فنون البلاغة والبيان والبديع، دار البحوث العلميّة، الكويت، ط1، 1977.
25. إدريس قرقوة، التّراث في المسرح الجزائري، مكتبة الرّشاد للطباعة والنّشر، د.ط.
26. أسماعيل بن القاسم أبو العتاهية، ديوان أبو العتاهية، دار بيروت للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1986،1.
27. أمين الخولي، مناهج التّجديد في النّحو والبلاغة والتّفسير والأدب، دار المعرفة، قاهرة، مصر، ط1، 1961.
28. إياد خالد الطّبّاع، جلال الدّين السّيوطي معلمة العلوم الإسلامية، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1996.
29. أيمن أمين عبد الغني، الكافي في علوم البلاغة والبيان والبديع والمعاني، الدار التّوقيفية، القاهرة، مصر، د.ط، 2011.
30. بسيوني عبد الفتّاح، دراسة تحليلية علم البيان، مؤسسة المختار للنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1998.
31. بشار بن برد، ديوان بشار بن برد، تح: محمد الطّاهر عاشور، الثّقافة العربيّة، الجزائر، د.ط.
32. بهاء الدّين السّبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
33. تمّام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثّقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994.

34. جلال الدّين السّيوطي، الأشباح والنظائر في قواعد وفروع الشّافعيّة، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرّياض، جدّة، ط2، 1997.
35. جلال الدّين السّيوطي، التّحدّث بنعمة الله، تح: إليزابيث ماري سارتين، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، مصر، د.ط، 2016.
36. جلال الدّين السّيوطي، حسن السّمت في الصّمت، دار العلم، القاهرة، مصر، د.ط، 2010.
37. جلال الدين السّيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، 1939.
38. جمانة محمد عبيد، المعلم اعداده تدريبه كفاياته، دار الصّفار، عّان الأردن، ط1، 2006.
39. حسن حنفي، التّراث والتّجديد، المؤسسة الجامعية للدّراسات، بيروت، لبنان، ط4، 1994.
40. حسين بن معلو الشّهراني، حقوق الاختراع والتأليف، دار طيبة، الرّياض، جدّة، ط1، 2004.
41. خير الدّين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1986.
42. روبرت هولب، نظرية التّلقي، تر: عز الدّين إسماعيل، القاهرة، مصر، ط1، 2000.
43. صابر عبد الدّايم، موسيقى الشّعر العربي بين الثّبات والتّطوّر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1993.
44. عبد الحكيم راضي، نظرية اللّغة في النّقد العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د.ط، 1980.
45. عبد الرحمان ابن خلدون، المقدّمة، تح: خليل شحادة وسهيل زكّار، دار الفكر للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
46. عبد الرّحمن السّخاوي، الضوع اللامع، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1992.
47. عبد الرحمن اللوجي، الإيقاع في الشّعر العربي، دار الحصاد، بيروت، لبنان، ط1، 1989.
48. عبد الرحمن تبرماسين، العروض وإيقاع الشّعر، دار الفجر للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 2001.
49. عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، 2005.
50. عبد الفتّاح محمّد سلامة، نظرات تطبيقية في علم البيان، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1995.
51. عبد القادر الشاذلي، بهجة العابدين، تر: جلال الدّين السّيوطي، تح: عبد الاله نبهان، دار اللّباب، اسطنبول، تركيا، ط1، 1988.
52. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تع: أبو فهر محمود ومحمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1.
53. عبد الكريم غريب، المنهل التّربوي، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البضاء، المغرب، ط1، 2006.

54. عبد المالك مرتاض، تحليل قصيدة أين ليلاي، محمد العيد، دار الغرب للنشر والتّوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2004.
55. عسعوس محمد، مقاربة التّعليم بالكفاءات، دار الأمل، الجزائر، ط1.
56. علوي الهاشمي، فلسفة الإيقاع في الشّعر العربي، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ط1.
57. علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ذار المعارف، بيروت، لبنان، د.ط، 1999.
58. علي الكاعوب، المفصّل في علوم البلاغة، دار القلم للنشر، الإمارات، دبي، ط1، 1996.
59. علي راشد، خصائص المعلّم العصري وأداؤه، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ط،2002.
60. علي راشد، شخصيّة المعلّم وأداؤه في ضوء التّوجيهات الإسلامية، دار الفكر العربي، دمشق، سوريا، ط1، 1993.
61. فخر الدّين الرّازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1985.
62. فخرالدّين الرّازي، التّفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2000.
63. الفضل بن قدامة، ديوان أبي النّجم الحلبي، تح: محمد أديب عبد الواحد، مطبوعات مجمع اللغة العربية، سوريا، دمشق، د.ط، 2009.
64. فضل حسن عبّاس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان، جامعة اليرموك، ط1، 2005.
65. قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، تح، وتع: محمد عبد المنعم خفاجة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1978.
66. محمد بن محمود القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
67. القمالي السّيد، الأسطورة والتّراث، المركز المصري للبحوث والحضارة، القاهرة، مصر، ط3، 1999.
68. لورنس كورنو وآلا فرينو، الخطاب الديداكتيكي أسئلته ورهاناته، تر: عبد اللطيف المودني، مطبعة النّجاح، الدار البيضاء، المغرب، ط5، 2006.
69. أبو العباس محمد المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام، القاهرة، مصر، ط3، 1994.
70. محمد أحمد قاسم، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، لبنان، ط1،2003.
71. محمد الجابري، التّراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1961.
72. محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية والدّلالة، اتّحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ط1، 2001.
73. محمد غنيمي هلال، النّقد الأدبي الحديث، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1973.

74. محمد مصطفى أبو الشّوارب وزيد كامل، العروض العربي صياغة جديدة، دار الوفاء للطباعة والنّشر، عمان، الأردن، د.ط.
75. محمد موسى، إعجاز القرآن بين الإمام السّيوطي والعلماء، دار الأندلس الأخضر، السّعودية، جدّة، ط1، 1997.
76. محمود مصطفى، أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية، تح: عمر فاروق الطّباع، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، د.ط، 2005.
77. مراد موهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، ط5، 2007.
78. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
79. مصطفى عبد السّميع محمد، إعداد المعلّم وتنميته وتدريبه، دار الفكر للنّشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
80. موفّق قاسم خلف الخاتومي، دلالة الإيقاع إيقاع الدّلالة للخطاب الشّعري الحديث، دار غيداء للنّشر والتّوزيع، عمّان الأردن، د.ط.
81. نازك صادق الملائكة، قضايا الشّعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1987.
82. يوسف بن أبي بكر السكّاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

المجلّات والمذكّرات

83. أمينة مصطفاي، التّعريف بالمعاجم المختصّة الحديثة بين الواقع والمأمول، مجلّة المعارف، المجلّد1، العدد 15 جوان 2014.
84. فريد البيدق، اللّغة العربيّة تداخل علوم للجمال، المجلّة العربيّة، 28 ديسمبر 2007.
85. سعد مصلوح، مشكلة العلاقة بين البلاغة العربيّة واللّسانيات الأسلوبيّة، النّادي الأدبي الثّقافي، السّعوديّة، جدّة، المجلّد العاشر،1988.
86. عادل المسقطي، إخلاص المعلّم في نقل المعلومة كفيل بتخريج طالب مثقّف، مجلّة الوسط، 3939، الأربعاء 19 يونيو2013.
87. إبراهيم الدّويري، عادات وتقاليد فلكلور/ تراث العالم الإسلامي، مجلة الجزيرة، العدد 546، سبتمبر 2021.
88. بلخير مليكة، خصائص المعلّم النّاجح، مذكّرة لنيل شهادة الدّكتوراه في الأدب العربي، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، 2015.

89. لحبيب عبلله، تعليمية المنظومات النحوية في التراث من القرن 12 هجري حتى القرن 15، بحث مقدّم لنيل الدكتوراه علوم في اللغة والأدب اللغوي، 2018، جامعة درابة، أدرار، الجزائر، ص27.

المواقع الإلكترونيّة:

90. http//islamic-education1.blogspot.com

فهرس

الموضوعات

المحتوى	الصفحة
مقدمة	1
مدخل في المفاهيم الأساسية: التعليمية والبلاغة والتراث	5
الفصل الأول: المثلث التعليمي	
المبحث الأول: المعلم / المؤلف	12
تمهيد في مفهوم المثلث التعليمي	12
المطلب الأول: المعلم/ المؤلف	13
1 / المعلم	13
2 / المؤلف	14
3 / سيرة جلال الدين السيوطي	14
المطلب الثاني: الخصائص الشخصية	19
1 / قوة الشخصية	19
2 / الذكاء	21
3 / التواضع	22
4 / الإخلاص	23
5 / المظهر الخارجي للمعلم	23
المطلب الثالث: الخصائص التعليمية	24
1/ الإعداد الأكاديمي والمهني	24
2/ اتساع المعرفة والاهتمامات	25
المطلب الرابع: الخصائص الاجتماعية	25
المطلب الخامس: الخصائص النفسية	26
المبحث الثاني: المعرفة / المرجعيات	28
المطلب الأول: البلاغة في منظومة عقود الجمان في علم المعاني والبيان	28
المطلب الثاني: أقسام البلاغة	32
1/ علم المعاني	32
2/ علم البيان	34
3/ علم البديع	35
المطلب الثالث: علاقة البلاغة بالعلوم الأخرى	36

1/ علاقة علم البلاغة بعلم النحو	**36**
2/ علاقة علم البلاغة بعلم الصرف	**37**
3/ علاقة علم البلاغة بالشعر	**37**
المبحث الثالث: المتعلم / القارئ	**38**
المطلب الأول: تلاميذ السيوطي	**39**
المطلب الثاني: عموم القراء في زمنه	**40**
المطلب الثالث: القراء من كل زمن	**42**
الفصل الثاني: مقومات النقل الديداكتيكي	
تمهيد في مفهوم النقل الديداكتيكي	**45**
المبحث الأول: التعريف	**46**
1/ التعريف لغة	**46**
2/ التعريف اصطلاحا	**46**
المطلب الأول: التعريف بالتحليل	**47**
المطلب الثاني: التعريف بالمقارنة	**50**
المطلب الثالث: التعريف بالتركيب	**52**
المبحث الثاني: التمثيل	**54**
1/ التمثيل لغة	**54**
2/ التمثيل اصطلاحا	**54**
المطلب الأول: التمثيل بالقرآن	**55**
المطلب الثاني: التمثيل بالحديث	**56**
المطلب الثالث: التمثيل بالشعر	**57**
المطلب الرابع: التمثيل بالبلاغة	**59**
المبحث الثالث: أسلوب الخطاب	**61**
1/ الأسلوب	**61**
أ- لغة	**61**
ب-اصطلاحا	**61**
2/ الخطاب	**62**
أ- لغة	**62**
ب-اصطلاحا	**62**

3/ أسلوب الخطاب	**63**
المطلب الأول: الدعاء	**63**
المطلب الثاني: الإحالة	**64**
المطلب الثالث: المضمرات	**65**
الفصل الثالث: الخصائص النفسية وتيسير التعلم	
المبحث الأول: الخصائص الشعرية	**68**
تمهيد في مفهومي الشعر والإيقاع	**68**
1/ الشعر	**68**
أ. لغة	**68**
ب. اصطلاحا	**68**
2/ الإيقاع	**69**
أ. لغة	**69**
ب. اصطلاحا	**69**
المطلب الأول: الوزن	**71**
1/ الوزن لغة	**71**
2/ الوزن اصطلاحا	**72**
المطلب الثاني: القافية	**73**
1/ القافية لغة	**73**
2/ القافية اصطلاحا	**74**
المطلب الثالث: الروي	**75**
1/ الروي لغة	**75**
2/ الروي اصطلاحا	**76**
المبحث الثاني: الخصائص البلاغية	**78**
المطلب الأول: الإستعارة	**78**
1/ لغة	**78**
2/ اصطلاحا	**79**
المطلب الثاني: الطباق	**80**
1/ لغة	**80**
2/ اصطلاحا	**80**

المطلب الثالث: التقديم والتأخير	**81**
1/ لغة	**81**
2/ اصطلاحا	**82**
خاتمة	**86**
قائمة المصادر والمراجع	**90**
فهرس الموضوعات	**97**
ملخص	**-**

ملخّص:

سعت هذه الدّراسة إلى تناول تعليميّة البلاغة العربيّة في منظومة عقود الجُمان في علمي المعاني والبيان لجلال الدّين السّيوطي. وهدفنا من هذه الدّراسة تسليط الضّوء على واقع تعليميّة البلاغة باعتبارها فرع من فروع اللّغة العربيّة، فهي مادّة تكشف للمتعلّمين عن دقّة هذه اللّغة وأسرارها فتنمّي فيهم حاسة الذّوق والابتعاد عن الخطأ وتأدية المعنى المُراد، وذلك بتعرفهم على فروع البلاغة (المعاني، البيان، والبديع).

وللإجابة عن إشكاليّة الموضوع قمنا بدراسة المفاهيم البلاغية وعناصر العمليّة التّعليميّة وتطبيقها على ما جاء في منظومة السّيوطي.